تحفة العروس

أو

الزواج الإسلامي السعيد

تأليف

محمود مهدي الاستانبولي

بســـــم اللـــــه الرحمـــــن الرحيـــــم

الاهـــــــــــداء

الى الشـــــاب المســـــلم
والى الشـــــابة المسامـــــة
الحريصين على حيـــاة العفـــة
والراغبين فى حيـــاة المتعـــة
والساعيين لاعداد جيل ذوى مؤمن

اقـــــــــــدم

هذه الرسالة بمناسبة اقدامهما على الزواج
جعله الله سبحانه مباركـــا وعلى خـــير طائر

(م ٠ م)

« ... الحد لله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، رفع النكـــاح ، واعلى شأنه ، واقام بحلاله الاديان ، وجعـــل مرد بقاء الحيوان ، وعمر بـــه البلاد ، وكثر العباد وحض عليه فى كتبه المنزلة .. وأبان لنا عن جلالة محله ، بمـــا خص اللذة به من الزيادة على غيرها ، والانافة على نظائرها ، ثم باضعافهـــا فى النساء ، والهامهن ارادته ، ليكون ذلك داعيا الى طاعتهن ، وباعثـــا على متابعتهن » .

من فاتحة كتاب : « جوامع اللذة »
لأبى الحسن بن نصر الكـــاتب

مقدمـــــة الطبعـــة الثانيـــة

ما كادت تصل الطبعة الأولى الى الأسواق ويمضى عليها عام واحـــد تقريبا حتى نفذت على الرغم من عدم الاعلان عن الكتاب الذى عاش بنفسه وسار وحده .

وقد كان من فضل الله على انه لقى من التقدير ما لم اكن اتصـــوره ، وفقـد من الســـوق وكثـرت الطلبات على ، مما اضطرنى الى اعـــادة طبعه بعدما اضفت اليه زيادات كثيرة وفصولا جديدة حتى جاء تحفة حقيقية .

والهدف الذى كنت اوضحته من اصدار هذا الكتاب هو تسليط الأضواء على « الحياة الجنسية » التى يسودها الكتمان ، ويساورها الخوف،ويغمرها الجهل فى احيان ، وتكشف كشفا مريبا ومغريا لتســـير فى طريق الانحراف والفساد فى احيان اخرى .. مما جعلها مشكلة المشـــاكل واصبحت نذيـــر خطر يهدد الأفراد والجماعات باسوا العواقب واقدح النتائج .

حتى المتزوجين والمتزوجات انفسهم ، فقد تعرضت حياتهم الزوجيـــة للطلاق والانهيار بسبب جهلهم بآداب ومفاهيم غريزة الجنس التى خطط لهـــا الاسلام ـــ هذا الدين العظيم ـــ وعرضها بكل صراحة وجرأة فى اســـلوب حكيم ، وجعل لها « ايديولوجية » فى منتهى الاعجاب .

فاشكره سبحانه على حسن توفيقه ، مبتهلا اليه ان ينفع به ، ويدخـــر لى ثوابه « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » .

المقدمـــــــة

الحياة الزوجية فن ...
فن جميل وهام ...

قل من يعرفه ، فتحدث المشكلات والازمـــات بين الزوجين نتيجـة الجهل بهذا الفن ، بل بهذه العبادة المقدســة ، وتتعرض الاسرة الى هزات عنيفة ، وكثيرا ما تؤدى الى زعزعة اركانها وتشريد أطفالها !

وكم أتمنى لو تؤسس صفوف خاصة لدراســة فن الزواج قبل اقدام الفتى والفتاة عليــه ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، حتى وزارة التربيــه المفروض فيها اعداد النشء للحياة ، لا تولى هذا البحث المحامه اللائقه بــه فى مناهجها ، بل لا تعيره أدنى اهتمام !

وقد كنت قلت منذ ربع قرن تقريبا فى كتابى (كيف تربى أطفالنـــا) ولا أزال اقول : « ان كنت اعجب ، معجبى شديد لامة لا تسمح تقاليدهـــا بوضع قطعة الحديد بيد من لا يحسن صناعته ، كيف لا تلزم افرادها قبـــل الزواج أن يتعلموا السياسة الزوجية وآدابها دراسه نفسيات الأطفـــال ومعرفه طرق تربيتهم !! » .

ولا يقف الأمر فى أمتنا على الجهل بفن الزواج ، بل يتعداه الى تســميم الجو بالكتب الجنسية الوفيرة التى ليس لاكثرها من غايـــة الا نشر بــذور الانحراف لتضليل شبابنا وشاباتنا باسم تعليمهم الزواج ، ممـــا يؤدى بكثير منهم الى سلوك طريق الرذيلة والغواية (١) .

---

(١) ومناسبة الكلام على أدب الجنس يؤلمنـــــا ان نذكر أن كثيرا من معاهد الاداب فى بلادنا تدرس لطلابنا وطالباتنـــا ، وهم فى ذروة البلوغ وثورة الشـــباب ، ادب الفساق والمخمورين والاباحيين ، بحيله تقوية لغتهم وتنمية ذوقهم وسلقتهم الأدبية ، حتى الادب العربى خلا الا من هذه المفاسد والموبقات التى يندى لها جبين الفضيله ورحم الله أبا اسحق الحصرى ، فقد نقى كتابــه زهر الآداب ن الماجن الخاجر وقد قال عن أسد بن ارشد « وله مذهب استفرغ فيه اكثر شعره صنت الكتاب عن ذكره !! » .
وليس هذا رأى صاحب زهر الاداب فقط ، بل ذهب الى ذلك الفلاسفة والمربون حافلاطون قديما وجون ديوى حديثا ، داعين الى وجوب تنقيف الادب قبل تعليمه الى النشء ، وقد حض علماء المسلمين على ذلك ، خشية أن تطبع نفسيات المطلعين بطابع الاستهتار ، واعتياد مشاهد الخمرة والدعارة والسير بهم فى واد سحيق من أودية الرذيلة .

ومن أهم دسائس واغراءات مؤلفى الكتب الجنسية جميعا الدعاية للاختلاط وتوابعه من رقص وسياحة وخلوات .. زاعمين أن كل ذلك كفيل بتهذيب الغريزة الجنسية لدى الذكور والاناث على السواء .

وكل ذلك مخالف للحقيقة والواقع . والغرض منه الترويج للفسق والفجور بين شبابنا وشاباتنا ليدمروا اخلاقنا ويعرضونا للانهيار .

ومن المؤسف والمؤسف جدا أن يروج هؤلاء المؤلفون لفكرة الاختلاط . وقد مر بها الغرب فى العصور الحالية فلاقى ولا يزال يلاقى — من ويلاتها واخطارها ما تقشعر له الأبدان .

وقد كان لهذا الاختلاط فى الغرب خطران رهيبان ..

الأول : انتشار الفساد والخلاعة وانحلال الاسرة والانغماس فى الرذيلة وتهديد المجتمع بأفدح الاخطار . والى القارىء ما جاء فى رسالة « امريكا دولة تحكمها العصابات » للصحفيين الأمريكيين جال ليت ولى مورتيمر وترجمة حبيب نحولى (ص ٢٦) :

وقد كان من جراء هذه الحرية المطلقة التى نالتها المرأة أن نشأت عدة صعوبات اقتصادية واجتماعية ، ابرزها واشدها خطرا ، هى اعراض الرجل الاميركى عن الزواج ، لا سيما من الفتيات اللواتى يدعين التحرر والانطلاق مع أهوائهن ، لأنهن فى نظره غير صالحات لتكوين اسرة وتربية أطفال .

= ومن الغريب — والغريب جدا أن ينسب الكثيرون الى رسول الله (ص) وهكذا ازادات أزمة الزواج تعقيدا وارتفع عدد الفتيات العازبات انه سمع قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير وفيها ما فيها من وصف تقاطيع جسم سعاد ، وهذا من اقبح الكذب على رسول الله (ص) فان هذا الحديث الذى يروى هذه القصة حديث غير صحيح !! .

كما قال محدث الديار الشامية استاذنا محمد ناصر الدين الألبانى :

ومما يؤسف له أن بعض من يزعمون انهم يحملون فكرة اسلامية ، يعترضون على كلامنا هذا ، ويسمونه نسكا اعجميا ، ولا يرون ما نعمل من دراسة طلابنا وطالباتنا لأقبح اشعار امرىء القيس ، وعمر بن أبى ربيعة ، وأبى نواس ، وبشار بن برد وغيرهم من شعراء المجون والفسق .

واذا كان الشارع الحكيم يجعل من صفات المؤمنين انهم (اذا مروا باللغو مروا كراما) .

فماذا يقول عن محللى دراسة شعر الفسوق الذين يروجون للزنى والخمر واللواط ويزينونه للناس ؟! .

بضعة ملايين أيضا . واذا أمعنا النظر فى سبب استفحال هذه المشكلة الاجتماعية تبين لنا أن سببا آخر يأتى فى الطليعة ، وهو ان الرجل الاميركى راح يمعد الى أهون الوسائل لاشباع غرائزه الجنسية .. فالمرأة متوفرة له فى جميع الأماكن التى يرتادها ، سواء فى المكتب أو فى النادى ، فى الحانة والمطعم أو على شواطىء البحر فيختار لنفسه الفتاة التى تحلو له ويتخذها عشيقة لمدة من الزمن ، فلا ترهقه بطلباتها ونفقاتها . حتى فتيات الجامعات والكليات أصبحن يزاحمن خادمات المطاعم والحانات .. والمومسات !!

والرجل الأميركى العادى يفضل هذا النوع من النساء المجربات على الفتاة البسيطة المحافظة ، الطامعة بالزواج !! .

وخلال رحلتنا فى الولايات المتحدة لاحظنا أن بيوت الدعارة الرسمية قد قلت بشكل ظاهر ، وقد يتبادر الى الأذهان أن ذلك شىء ناتج عن تغلب الفضيلة فى بلادنا على الرذيلة ! .

.. ولكن الحقيقة المؤلمة عكس ذلك تماما ، فقد تعرضت تلك البيوت الرسمية لمزاحمة شديدة من قبل الفتيات وطالبات المتعة والمومسات السريات ، فقضت على قسم كبير منها بالخراب والاقفال ! .

وفى السنين الأخيرة نشأت وسائل حديثة ، سارت مع عصر الذرة والسرعة جنبا الى جنب ، فأصبح هناك « فتيات طريق » و «فتيات الرحلات» و « فتيات تحت الطلب » يمكن الاتصال بهن بواسطة رقم معين للهاتف .

وفى المدن الاميركية الكبيرة ، كشيكاغو مثلا ، يشرف على هذا النوع من الفتيات بائعات الهوى ، عصبة لها مقر معين ، تقدم للفتيات السيارات والبيوت أو الفنادق الفخمة وجميع أنواع المشروبات الروحية ، ويجوب رجال هذه العصابة أميركا من أقصاها الى أقصاها بحثا عن فتيات بائعات جميلات ، لتلبية طلبات الزبائن الملحة وتعتبر « فتيات العشرة » من افضلهن لأنهن يتخذن لهن مكانا (بيتا) أو (فندقا صغيرا) معينا ويتصل بهن طالب المتعة بالهاتف ليحدد لاحداهن موعدا ترافقه بعده الى سهرة فى أحد الملاهى ..

وعلى الرغم من حملات رجال البوليس الاتحادى فى مكافحة الرقيق الأبيض ، ففتيات هذا النوع مازلن يعملن بهدوء دون أن يتمكن رجال الشرطة من التدخل للحد من فسقهن وفجورهن . والغريب ان الرجل الأجنبى لا يستطيع أن يميز بين الفتاة العادية والفتاة المحترفة ، لأن كلتيهما ، فى بعض الأحان ، تقومان بالترغيه عن الرجال مجانا لمجرد الحب او التسلية أو لكليهما معا .

والخطر الثانى للاختلاط هـو « مرض البرود الجنسى » عنـد المرأة والرجل على السواء .

وقال الدكتور محمد محمد حسين :

أما النتيجة الثانية الخطرة لشيوع البرود الجنسى وهى انتشار الشذوذ واستفحال دائه فهى راجعة الى أن الرجل الذى ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة فلا يثور ، يحتاج لكى يثور الى مناظر وأوضاع تخالف ما ألف . ثم ان اصابته بالبرود تحرمه لذة من اكبر اللذائذ ، ومتعه من أعظم ما ينطوى عليه الناموس من المتع ، وهى متعة تسكن عندها النفس ويطمئن القلب ويستقر الاضطراب . ومصيبته هذه بالبرود الجنسى تحرمه من الاحساس بذكورته فيعانى اشد الالم مما يحسه فى اعماق نفسه من الذلة والمهانة . ويدفعه ذلك الى أن يحاول تحقيق متعة الاتصال الجنسى واثباتها من كل الوجوه ، عن طريق التقلب بين الخليلات وبائعات الهوى والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع ، رجاء انبعاث ما ركد من ذكورته . وقد تدفعه مع ذلك الى اغراق نفسه فى لمخدرات تعويضا لما فقده من لذة ، أو الى الاجرام أو المغامرة اثباتا لذكورته من وجه آخر .

ومثل هذا الشذوذ يشمل المرأة والرجل على السواء ، لأن البرود الجنسى الذى يؤدى اليه هذا الاختلاط — بل الذى يسعى اليه هذا الاختلاط — بل الذى يسعى اليه دعاة الاختلاط — برود ذو شقين ، لا يحقق ما يزعمونه من أهداف الا اذا شمل الذكر والأنثى ، فانتفت الرغبة الجنسية الجسديه فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب وعند الممازحة والمراقصة .

ويستطيع القارىء أن يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربى ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهى آثار لا مفر معها من مثل مصير الذين خلوا من البائدين و « لن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

وأنا أعلم أن كثيرا من الناس لا يقع منهم الدليل موقع الاقناع الا اذا نسب الى الغرب . والى هؤلاء أسوق بعض ما نقلته صحف لا تتهم عندهم بالرجعية عن علماء الغرب وهيئاته . فمن ذلك ما نقله المصور (العدد ١٦٨٩ ص ٤) عن الأستاذ بيتريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد فى كتاب له صدر أخيرا بعنوان (الثورة الجنسية) ، حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة الى كارثة فى الفوضوية الجنسية ، كما يقرر أنها متجهة الى الاتجاه نفسه الذى أدى الى سقوط الامبراطورية الاغريقية ثم الامبراطورية الرومانية فى الزمان القديم . ويقول فى ذلك الصدد : « اننا

محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة . وهذه الثورة التى تعبر بنا آخذة فى تغيير حياة كل رجل وكل امراة فى امريكا اكثر من اى ثورة اخرى فى هذا العصر » .

ومن ذلك ما جاء فى صحيفة « الاخبار » (عدد ٢٦ المحرم ١٣٧٧ ص ٢ تحت عنوان عالم امريكى يقول ان المرأة الأمريكية باردة) حيث نقلت ما صرح به الدكتور جون كيشلر احد علماء النفس الأمريكيين فى شيكاغو ، حيث قال : ان (٩٠ فى المائة من الامريكيات مصابات بالبرود الجنسى ، وان ٤٠ فى المائة من الرجال مصابون بالعقم . وقال الدكتور : ان الاعلانات التى تعتمد على صور الفتيات العارية هى السبب فى هبوط المستوى الجنسى لشعب الأمريكى) . نقلا عن كتاب « حصوننا مهددة من داخلها » ص ١٢٣ ــ ١٢٦) .

هذا ــ وقد بدت ظاهرة غريبة فى « جماعة أنصار العرى » حيث فقدت الرغبة الجنسية منبين الجنسين نتيجة الاختلاط وكشف جميع أجزاء البدن بصورة دائمة ، مما يثبت مبلغ الجناية التى ترتكبها النساء فى بلادنا على انفسهن وعلى الأمة من جراء التبرج والاختلاط والتعرى .

ان هذه الفوضى الجنسية ، والأهواء الشهوانية السائرة فى الغرب نحو كارثة الانهيار والدمار باعتراف علمائه ومفكريه ، قد انتقلت الينا بسبب وجود الفراغ والجهل فى الجيل الجديد بهذه القضايا الجنسية ، فاخذت تفتك فيه فتك اخطر الأسلحة وأشد السموم .

لهذا كله سارعت الى نشر هذا الكتاب الطريف ، لأمهام الجيل الراشد من الزواج حسب ما خطط له الاسلام ــ هذا التشريع العظيم والدين الجميل الذى أولى الأسرة اهتماما عظيما ورسم لها كل ما يكفل سعادتها ويسهل مهمتها فى اعداد جيل مؤمن طموح وبناء ، كما خطط لكل من الزوج والزوجة حقوقه وواجباته ، فلا ينازع احدهم الآخر فى حقوقه ، ولا يهمل واجباته . واذا وقع نزاع ، سارعا معا للاحتكام الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) اتباعا لقوله سبحانه (**فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) وليس اضمن وافضل فى ازالة الخلاف من التشريع الصريح الذى يوضح لكل من الزوجين ماله وما عليه ! .

اننى لم آت بشىء من عندى ، انما هى آيات قرآنية وأحاديث نبوية

صحيحة تجد طريقها الى النور لأول مرة ، مجموعة فى كتاب ، بعد مـا بقيت مبعثرة فى كهوف الكتب القديمة اجيالا واجيالا ، حتى راح كثير من شبابنـا ينهلون من حماة الكتب الجنسية الحديثة التى تخلط السم بالعسل لاغـراء الجيل المسمم بالانحراف والفساد ! .

ولا شك أن القارىء والقـارئه سيفاجأ ببحوث صريحة الى غايـة الصراحة فى هذا الكتاب ، ولا عجب ، فالاسلام دين الحياة،والغريزة الجنسية جزء هام من هذه الحياة ! يكان من الطبيعى أن يعالجها هـذا الدين الحنيف بشىء من الطرافة والتشويق ما دام الزواج ركنا عظيما من اهـم اركـان صرح الأمة .

كل ذلك دون أن اغرق الزوجين فى بحران من العاطفـة والخيـال ؛ فسيجد كل منهما مواقف الخير ، ومواقف الحـزم ، ومواقف الجهـاد الى جانب مواقف المتعة ... فى جو من التوجيه والتنسـيق والرغبـة ، فان من اعظم توجيهات القرآن العظيم أنه اذا تحدث عن مسأله جنسية يحيطها بهالة من التقديس ويسارع الى تذكير المستمع بالله سبحانه ووجوب مراقبته وتقواه كى يسود البحث الاحتشام والوقار والادب ، فلا يغوص القارىء فى أغـوار الشهوة الحيوانية ، هذا مما امتاز به الاسلوب القرآنى . وكم كان اغفـال ذلك فى كتب الجنس سببا فى انحراف القارىء .

نأخذ كمثال على ذلك قوله تعالى : **« نسـاؤكم حرث لكـم ، فأتوا حرثكـم انـى شئتم ، وقـدموا لأنفسـكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين »** البقرة : ٢٩٣ .

وقد كنت منذ عام ١٣٧٣ هـ ألفت رسالة (التربيـة الجنسـية على المكشوف) اتخذت من بعض آيات من سورة يوسف ، ومن التلقيح النباتى ، وسيلة لتعليم الشبان المراهقين بعض قضايا الجنس التى يسألون عنهـا ، فى جو من الهيبة والقداسة والعلم المجرد ، دعوت فيها الى وجوب دراسة هذا الموضوع الهام فى المدارس الثانوية ، خشية ان يتلقاه الجيل الجديد من ابنـاء الشارع ومن المفسدين فى الأرض . وكم نقع فى الضلال البعيد ان ظننا اننـا اذا لم نحدث أبناءنا وبناتنا عن هذه المعلومات ، يبقون بعيدين عنها . فـان غريزتهم فى دور المراهقة والبلوغ تلح عليهم الحاحـا قويـا فى معرفـة أسرارها وخفاياها .

« والمستقرىء لألفاظ القرآن وتعبيراته فى هذا الميدان كقولـه : فالآن باشروهن) ، (أو لامستم النساء) (أحـل لكم ليلة الصـيام الرفث الى

نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن) (فلا رفث ولا فسوق ولا جـــدال في الحج) (ولا تقربوهن حتى يطهرن) المتتبع لهذه الآيات السالفة يجدهـا ومثيلاتها ، تتسم بالاشارة والتلميح أو يلفها في غلالـــة من رقيق اللفظ ، أو مصبوبة في قالب كنائي جميل (لا تقربوهن) (فلمـــا تغشاها) (لامستم النساء) أو تشبيهات اخاذة كتشبيه النساء بالحرث في قوله : (نساؤكـــم حرث لكم) ، ولعل القرآن يهدف من وراء تعابيره وارشاداتـــه تلك ، أن يوجه الأنظار الى لون من التربية الاجتماعية يربى بها الخلائق ، ويرشـــد بواسطتها الزوجين الى ن التقاءهما الجنسي يجب أن يحاط بسياج من الآداب والرقة والبعد عن المصارحة والمكاشفة بل تكفي الاشارة أو اللمحـــة ، أو ابداء الزينة أو التجميل والتطيب دون الدعوة المباشرة من أحد الزوجين (٥) » .

وبمناسبة الكلام على قصة يوسف (ع) يحسن أن أشير في هذه المقدمة الى ما في هذه السورة من روعة ودرس وتوجيه وتصـــوير تحليلي دقيق خليق بالزوجين الوقوف على فهمه ، انها « نموذج من نماذج ذلك القصـــص القرآني الهادي الهادف ، تضع لوحات حية للشرف ؛ موحيـــة بالطهر ، نابضـــة بالعفة . نرى فيها شبابا فائرا ثائرا واشتهاء متمكنـــا ، نرى الجو المتهيء والرغبة المندلعة . . والجوع الجنسي .

نرى العاطفة المتأججة تطول السنتها ، ويندلع فحيحها في وجه العقـــل الصامد وتندلع الألسنة ويشتد أوارها . . وتتطاول لدعاتها ولا يطمئن العقـــل من جهته ولا يحني هامه أمامها . نرى امرأة العزيز تعـــد العدة وتستخدم أسلحتها وأساليبها . تبدي زينتها وتظهر مفاتنهـــا . . . تتفنن وتتحـــايل ، ويوسف يستعصم ويقاوم بعد أن رأى برهان ربه (٢) » .

« ذلك البرهان الذي رآه يوسف انما هو الايمان . نعم صوت الايمـــان وحده . . ففي هذه اللحظة الحاسمة التي يكون الانسان فيها على شفا الهاوية وفي هذه المعركة الحامية التي تآزرت عليه فيها كل قـــوى الشر ، وفي هـــذه الصورة الطاغية التي يندفع فيها المرء بلا وعي ولا شعور ، حضره ايمانـــه ، فذكره (وراودته التي هو في بيتهـــا عن نفســـه ، وغلقت الأبـــواب وقالت هيت لك ، قـــال معـــاذ الله ! انـــه ربي أحسن مثواي انـــه لا يفلح الظالمون !) » .

---

(١) نقلا عن كتاب « الاسلام والحياة الجنسية » للأســـتاذ محمود بن الشريف ص ١٠٥ ــ ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

وفى التوجيه النبوى قصة ايضا تصور الصراع بين الغريزة الجنسية وبين الايمان وخشية الله ، كاد صاحبها ينزلق فى جهنم الشهوة لولا كلمة ممن أحب ذكرته بربه فتراجع ووطىء بقدمه على الحب والمال (١) يقول رسول الله (ص) :

انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار .. فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .. فقال آخر :

اللهم انه كانت لى ابنة عم ، كنت أحبها كأحب ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت منى ! حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها حتى اذا قدرت عليها وقعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ! ولا تفض ــ الخاتم الا بحقه !! .

فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهى من أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها .

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة . الى آخر الحديث .

وفى هذه المقدمة ، وخاصة وقد تطرقنا الى قصة يوسف (ع) وهيام امراة العزيز به ... لا بد من التنبيه الى التهم الغرامية التى نسبها بعض المفسرين ــ جهلا منهم ــ الى طائفة من الأنبياء متأثرين ويالاسف بالاسرائيليات وبأقوال أعداء الاسلام .

من هذه التهم الغرامية قولهم ان يوسف (ع) هم بجماع امراة العزيز ، كما همت به . وهذا غير صحيح ، فان هم هذا الفتى ليس من نوع هم زليخا، انما كان من قبيل خواطر النفس التى لا يملكها الانسان ولا يحاسب عليها . قال رسول الله (ص) يقول الله تعالى : « اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها . وان هم عبدى بسيئة ولم يفعلها فاكتبوها حسنة فانه تركها من جرائى ، فان عملها فاكتبوها بمثلها » متفق عليه .

ومن أعظم الأدلة على أن همه ليس كهمها انها راودته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك !! بينما هو (ع) قد تخلص حتى من هواجس النفس ورفض طلبها وقال : معاذ الله . وكذلك يرجعون ضمير (وما أبرىء

---

(١) من مقال للأستاذ أمين دويدار فى مجلة لواء الاسلام عدد مارس ١٩٥٩

نفسى) فى الآية الى يوسف وهذا خطأ فاحش ، فان هذا الكلام لامراة العزيز ، اعترفت بخطيئتها وقد كان يوسف لا يزال سجينا بدليل طلب العزيز له بعد سماع اعترافها : (قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء ... قال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى) الآية (يوسف) .

ومن هذه التهم ان بعض المفسرين متأثرين بالاسرائيليات ، راحوا يفسرون النعجة بالمراة فى قوله تعالى (وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ، اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم . وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) سورة ص : ٢٢ — ٢٥ .

أجل راحوا يفسرون الآية كان لداود (ع) تسع وتسعون امراة ، فاحب زوجة قائده وأخذها فصار عنده مئة امراة . وهو عمل اجرامى قبيح لا يصدر من أفظع المجرمين فضلا عن نبى معصوم من انبياء الله تعالى !

وقد اختلف المفسرون ، فقال بعضهم انما استغفر داود ربه ، لأنه خص قسما من وقته للعبادة فى بيته ، تاركا مصالح الناس حتى تسوروا عليه داره ، ليحكم بينهم . قال آخرون وقد استغفر ربه لأنه سارع الى اعطاء حكم لمجرد سماع أحد الخصمين وعدم سماع الآخر !

ولم يكتف هؤلاء المفسرون بتوجيه التهم الى يوسف وداود عليهما الصلاة والسلام بل راحوا ايضا نتيجة غفلتهم واستسلامهم للأحاديث الضعيفة والموضوعة ينسبون الى رسول الله (ص) حب زينب ابنة عمه وهى زوجة زيد الذى توسط له محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أجل زواجها .

فزعم بعض المفسرين أن النبى (ص) ابصرها بعدما أنكحها زيدا فوقعت فى نفسه فقال « سبحان الله مقلب القلوب » فسمعت زينب التسبيحة . فذكرت ذلك لزيد ، ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها .. وعاتب الله رسوله بقوله : (وتخفى فى نفسك) أى من حبها الى آخر هذا التفسير السخيف المستند الى الحديث السابق غير الصحيح (١) ، ويكذب

---

(١) قال الحافظ ابن كثير فى تفسير : (وتخفى ما فى نفسك ما الله مبدية ..) ذكر أن ابا حاتم والطبرى هنا آثارا عن بعض السلف احببنا ان نضرب عنها صفحا لعدم صحتها ، فلا نوردها . أ.هـ .

ذا الزعم امران :

الاول : ان الله سبحانـــه اراد بزواج النبى (ص) من زينب ببطـــــل ادة العرب من تحريم الزواج من امراة المتبنى والآية صريحة (لكيلا يكـــون لى المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا) .

الثانى : لا يتصور العقل ان يتوسط الرســـــول (ص) لزواج زيد من بنة عمته زينب وهو يحبها . بل لا يتصور العقل ان يزهد بهـــا بكرا ويرغب فيها ثيبا !! .

ومما يؤسف له ان كثيرا من المبشرين والمستشرقين اخذوا هذا التفسير الخاطىء واستغلوه الى ابعد حدود الاستغلال فى الطعن بالرسول (ص) ممـــا هو منه براء .

ومن اراد زيادة الاطلاع ، فليراجع كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل .

اكتفى بهذا القدر من التمهيد لهذه الرسالة . سائلا الله سبحانـــــه أن يجعل عملى خالصا لوجهه العظيم . نافعا للجيل المؤمن فيسارع الى بنـــــاء اسرته على اسس اسلامية سامية ودعائم من القوة والحق والخير والجمال .

محمود مهدى استانبولى

مـــوز الموجـــودة فى هـــــذا الكتـــــاب

*	=	الآيـــــات
.	=	الأحـــاديث
خ	=	البخـــــارى
م	=	مســـــلم
د	=	ابـــو داود
ن	=	النســـــائى
ت	=	الترمـــــذى
مى	=	الدارمـــــى
هـ	=	ابن ماجـــــة
سع	=	ابن ســـــعد
طح	=	الطحـــــاوى
ط	=	الطبرانـــــى
عب	=	عبـــــد الرزاق
خز	=	ابن خزيمة فى صحيحـــه
قط	=	الدار قطنـــــى
حب	=	ابن حبـــــان
حـا	=	الحاكـــــم
ق	=	الحـــافظ العـــراقى
هق	=	البيهقـــــى
طى	=	الطيـــــالسى
حم	=	احمـــــد
شب	=	ابن ابـــى شـــيبة
بز	=	البـــــزار
ص	=	حـــديث صـــــحيح
ح	=	حـــديث حســـن
ج	=	جيـــــد

الزواج من نعم الله على عبـــادة (١)

الآيـــات :

*** ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا (٢) لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** (الروم : ٢١) .

*** هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منهـــا زوجها ليسكن (٣) اليها** (الاعراف : ١٨٨) .

---

(١) الحياة على الأرض اذا خلت من المتعة ، كانت جافة قاسية ، لذلك احاطت حمة الله كل غرائز البقاء باسباب المتعة ، وان تدبر هذه الحكمـــة تجعل الانسان على بينة من الغاية منها . انها ليست هدفا لذاتها ، وانما هى وسيلة الى اهداف كريمة ، فان الفرع الكريم ، لا يأتى الا من أصل كريـــم (الحياة الزوجية) .

(٢) كانت المرأة تعتبر فى القديم حيوانا نجسا لا روح لـــه ، ولـــم تكن زوجة لا لتكون خادما ، وذلك قوله سبحانه : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم** لها أنها انسان وليست بحيوان .. انسان خلق لخدمة الرجل ...

ونحن بازاء آية كريمة تنطق نورا ورقة ، وتروع صدقا وقوة ، ممـــا جاء به محمد (ص) منذ أربعة عشر قرنا ، فهى تقرر أن المرأة آية من آيـــات الله ... ! خلقها من أنفس الرجال ، لا من طينه أخرى ... وخلقهـــا لتكون زوجة لا خادما ، وذلك قوله سبحانه : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفســـكم ازواجا ...)** .

وخلق تلك الزوجة ليسكن اليها .. والسكن أمر نفســـــانى ، وسر وجدانى . يجد فيه المرء سعادة الشمل المجتمع ، وانس الخلوة التى لا تكلف فيهـــا .

وذلك من الضرورات المعنوية التى لا يجدهـــــا المرء الا فى ظل المراة « المراة بين البيت والمجتمع للبهى الخولى ص ٣٧ » .

(٣) ان القرآن بهذا النص يضع اسس الحياة العاطفية الهانئة الهادئة، فالزوجة ملاذ الزوج يأوى اليه بعد جهاده اليومى فى سبيل تحصيل لقمة العيش ويركن الى مؤانسته بعد كده وجهده ، وسعيه ودابه .. يلتقى فى نهاية مطافه بتاعبه الى هذا ملاذ ... الى زوجته التى ينبغى ان تتلقاه فرحة مرحـــة ، طلقة الوجه ضاحكة الاسارير ... يجد منها آنئذ اذنا صاغية وقلبا حانيـــا ، وحديثا رقيقا حلوا يخفف عنه ... ويذهب ما به .

فالزوجة سكن لزوجها يسكن اليها ليروى ظماه الجنسى فى ظـــلال من الحب والمودة والطهارة ، فيسكن القلب عن الحرام وتســـكن الجوارح عن التردى فى حماة الرذيلة والانزلاق فى مهاوى الخطيئة ! (الاسلام والحيـــاة الجنسية) ص ٢١ — ٢٢ تأليف محمود بن الشريف .

الحض على الزواج

الآيـــــات :

*** فانكحوا (١) ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** (النساء : ٤) .

*** هن لباس لكم وانتم لباس لهن (٢)** (البقرة : ١٨٧) .

---

(١) تشير هذه الآية الى وجوب الزواج ، غير انه « قد كثر فى محيط اهل التبذل السخرية من الزواج .. أو التندر به ... أو استطناع الندم عليه .. تظرفا ممجوجا .. والتماسا للهو الحديث مع المستامرين ... ذلك العبث يذهب بأصحابه بعيدا عن طريق الله وعن القداسة الواجبة لأمر عظيم شرعه الله تعالى فى كتابه وحث عليه (الحياة الزوجية) .

(٢) ما أرق وأروع تفسير الامام الطبرى لهذه الآية فقد قال : (**هن لباس لكم**) أى أن يكون كل منهما جعل لصاحبه لباسا ، لتجردهما عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد ، وانضمام كل واحد لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ! .

فقيل لكل واحد منهما « **هو لباس** » لصاحبه ، أو أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه « **لباسا** » لأنه سكن له كما قال جل ثناؤه (**جعل لكم الليل لباسا**) يعنى بذلك مسكنا تسكنون فيه ، وكذلك زوجة الرجل سكن يسكن اليها كما قال تعالى : (**وجعل منها زوجها ليسكن اليها**) فيكون كل واحد منهما « **لباسا** » لصاحبه بمعنى سكونه اليه .

وقال الاستاذ محمد قطب فى تفسير هذه الآية :

يصف القرآن العلاقة بين الرجل والمرأة فى تعبير دقيق جميل حيث يقول : « **هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن** » ففى هذه الكلمات القليلة تصوير بارع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح فى آن ، فاللباس أهم شىء ببدن الانسان . وهو الستر الذى يستتر به ، وهو فى الوقت ذاته مفصل على قده لا ينقص ولا يزيد .

والرجل والمرأة الصق شىء بعضهما لبعض . يلتقيان فاذا هما جسد واحد وروح واحدة ، وفى لحظة يذوب كل منهما فى الآخر ، فلا تعرف لهما حدود ، وهما بدأ يفوان الى هذا الاتصال الوثيق الذى يشبه اتحاد اللباس بلابسه .

ثم هما ستر ، كل واحد للآخر . فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة . وهما على الدوام ستر روحى ونفسى . فليس احد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين ، يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف منها شىء فتنهبه الأفواه والعيون . وهما كذلك وقاية تغنى كلا منهما عن الفاحشة وأعمال السوء لما يقى الثوب لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير .

الأحـــاديث :

*** اذا تزوج العبد فقد اســـتكمل نصف (١) دينـــه ، فليتق الله فى النصف الباقى** (هق) (ح) لطرقه .

*** الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة (٢)** (م) .

= وهذا بعد ذلك كاللباس فى تفصيله مضبوطا على القد . يلبســـه صاحبه فيستريح اليه ، ويتحرك نشيطا فى محيطه ، ويكتسب بـــه جمـــالا وزينة تعجب صاحبها وتعجب الناظرين .

فليس ابدع من تصوير هذه المعانى كلها فى تشبيه واحد شامل عميق .

واذا كانت العلاقة بين الرجل والمرأة وثيقة الى هـــذا الحد ، فقد وجب أن يلتقيا ليكون كل منهما لباسا لصاحبه ، يزينه ويكمله ، ويلتصق بـــــه للوقاية واستر (الانسان بين المادية والاسلام ص ٢٤٩) .

(١) فى الزواج يتقرر نصف مصير المسلم ، مما يدعوه الى الاهتمام بحسن اختيار الزوجة والبحث الدقيق والاستخارة الشرعية بعدهما ، وذلك بصـــلاة ركعتين ثم قراءة الدعاء المأثور عن الرسول (ص) فما حصل بعد ذلك فهو الخير .

(٢) جاء فى كتاب « نحن المعمرون » الثقافة الجنسية :

وصدقنى يا بنى ، ان الزواج لمن أفضل الأمور التى تساعد على اطالـــة العمر . ويؤدى الى حياة مستقرة منظمة .

وقد يشوب الحياة الزوجية شىء من المتاعب بسبب الأولاد واعبـــــاء المنزل ، ولكن المتزوج يشعر مع ذلك بالرضا والطمأنينة واشـــباع النفس ، فى حين أن الأعزب غالبا ما يشعر بفراغ فى حياته ونقص فى معيشته . وصدق من قال : ان الأعزب قد يكون ملكا فى شبابه ولكنه يصبح عبدا مســـكينا فى شيخوخته ، أما المتزوج فقد يكون عبدا مسخرا فى السنين الأولى من حياتـــه الزوجية ، بيد أنه عندما يهرم يجد نفسه ملكا متوجا فى بيتـــــه ، ولا يحس بالوحشية والعزلة التى يشعر بها غير المتزوج من المسنين .

وتدل الاحصاءات التى قام بها برتلون ، على أن حوادث الانتحـــار بين ان عدد الذين يدخلون المستشفيات العقلية نسبتهم عادة أربعة من غـــــير المتزوجين الى واحد من المتزوجين ! .

وتدل الاحصاءات التى قام بها برتلون ، على أن حوادث الانتحـــار بين غير المتزوجين أكثر منها بين المتزوجين ، وأن المتزوجين يتصفون عادة بالاتزان العقلى والخلقى ، وحياتهم هادئة ولا يشوبها الشـــذوذ والســـويداء اللذان يتصف بهما عدد غير قليل من غير المتزوجين . كما أن النساء المتزوجات ، مع ما يعانينه من متاعب الولاده والامومة ومشاكل الحياة الزوجية والمنزليـــة ، غالبا ما يعمرن أطول من زميلاتهن اللواتى يقضين حياتهن عانسات ! .

* ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب (١) الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف (٢) ، والمجاهد فى سبيل (٣) الله (ت . ن . د) .

التسامى بالغريزة الجنسية (٤)

الآيات :

* وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله (النور : ٣٣) .

---

(١) العبد الذى يريد أن يعتق نفسه بالمال .

(٢) أغلب الذين لا يتزوجون . وهم قادرون عليه ، يفكرون فى الزنا ! والزنا يبعد الانسان قطعا عن طريق الايمان ، فكان المسلم الذى لا يتزوج يغار بدينه ، فلينظر أية جريمة هو غارق فيها . كان ابن مسعود يقول : (لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام ، لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا .

وكان الرجل من مسلمى السلف اذا بلغ أولاده الحلم وتهيأت لهم المقدرة على الزواج ، حثهم فى ذلك ، وعاونهم ورغبهم فيه والتمس لهم صاحبات الدين من البيوت المطهرة والمحافظة . ان ذلك اسلوب لتطهير الحياة ودفعها فى طريق كريم (الحياة الزوجية) .

(٣) ما أعظم هذا الحديث الذى سوى بين الزواج وبين الجهاد فى سبيل الله وبين اعطاء الحرية للرق .

(٤) نقصد بالتسامى بالغريزة الجنسية ما اصطلح عليه كثير من علماء النفس بوجوب تعلية هذه الغريزة ، وتصعيدها فى آفاق عملية وأدبية وفنية نافعة فى حالات تعذر الزواج . وقد أمر الرسول (ص) بالصوم للعزب . وهو نوع رفيع من أنواع التسامى بهذه الغريزة ، سبق اليه الاسلام ، وليس معنى ذلك أن يستمر ، كما يفعل بعض رجال الدين من غير المسلمين .

وهذا التسامى بالغريزة يؤدى الى فوائد عظيمة فى عالم الدراسة والبحث والانتاج فأين هذا التوجيه السامى الاسلامى من دعوة فرويد اليهودى الذى يدعو الى مسارعة اشباع الغريزة الجنسية ويزعم — كذبا وزورا — بأن عدم هذا الاشباع يؤدى الى الكبت ويسبب الامراض النفسية .

وخلاصة نظريته : دعوة يهودية للاباحية والاستغراق فى الشهوات لاضعاف الجنس البشرى حسب المخطط الاسرائيلى العالمى فقد جاء فى (بروتوكولات) حكماء صهيون : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا . أن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شىء مقدس !! ويصبح همه الأكبر ارواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق !! » .

وقد طردت نظرية فرويد من كثير من بلاد العالم ، حتى من الاتحاد =

الأحـــــاديث :

*** يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة (١) فليتزوج (٢) فانـــه اغض للبصر ، واحصن للفرج ومن لم يستطع (٣) فعليه بالصوم (٤) .**

= السوفياتى ! بعد ظهور آثارها السيئة فى فساد الجيل . بينمـــا لا تزال تدرس فى كثير من معاهدنا ـــ وياللأسف ـــ كحقيقة ثابتة !! .

(١) أى من استطاع منكم الزواج بقدرته على المؤونة والنفقة والقـدرة الجنسية ! .

(٢) ان النصوص الاسلامية من قرآن وسنة تشـــير الى وجوب الزواج للمستطيع ، ولا أدرى كيف استنتج بعض الائمة الى ان هذه الأوامر للاستحباب أو الاباحة ؟! .

(٣) وهذا لاشك كان فى أول الاسلام . أما حينما تغنى الدولة ، فـــان لكل مسلم الحق بالزواج والاستدانة لتأمين المهر ونفقات الزواج الاخـــرى والدولة كفيلة بتسديد دينه من سهم الغارمين (أى المدينين) من سهام الزكاة .

والى القارىء مايثبت ما ذهبت اليه :

جاء فى كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز (ر) لابن الحكـــم : طلب ابن لعمر بن عبد العزيز الى أبيه أن يزوجه وأن يصدق عليه من بيت المـال (أى يدفع له المهر) ، وكان لابنه ذلـــك امرأة فغضب لذلك عمر بن عبد العزيز وكتب اليه : لقد أتانى كتابك تسألنى ان أجمع لك بين الضرائر من بيت مـال المسلمين ؟ وأبناء المهاجرين لا يجد أحدهم امرأة يستغنى بها ، فلا أعرف مـا كتبت بمثيل هذا ؟! ثم كتب اليه ان انظر الى ما قبلك من نجاسنا ومـا عـــا فبعه واستعن بثمنه على ما نداك (ص ١٣٥ طبعة عبيد) . والخليفة لـــم يستغرب طلب ابنه مهرا من بيت المال ولكن آثر عليه زواج ابناء المهاجرين .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله . ان اقضوا عن الضارمين فطلب اليه : انا نجد الرجل له المسكن . والخادم . وله الفرس وله الاثـــاث . فى بيته . فكتب عمر لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى اليه رأســـه . وخادم يكفيه مهنته . وفرس يجاهد عليه عدوه (ولعل اليوم سيارة اذا كانت من انتاج اسلامى) واثاث فى بيته ـــ أى له ولزوجه وأولاده ومع ذلـــك فهو غارم ، فاقضوا عنه ما عليه من دين (ص ١٦٤) من المصدر السابق .

(٤) ومناسبة الكلام على وجوب العفه والتسامى بالغريزة الجنسيـــة ريثما يتيسر الزواج كما أمر الشارع الحكيم . رأيت من المفيـد الرد علـــى انصار نظرية « فرويد » الاجرامية اليهودية الذين يشجعون على الفاحشـــة بحجة خطر العفة على الصحة .

قال العالم « هنرى ميلر » :

ان خير وسيلة لحفظ اجسادنا من المرض هو امتناعا عن طلب اللذة =

= الجنسية قبل الزواج من أية وسيلة كانت ، ومع هذا فهناك غير هذا النمع: فما هو يا ترى :

ان الاستسلام لكل فرصة سانحة للفعل الجنسى ، يفقدنا ارادتنـــا وشخصيتنا المبنية على قوة ارادتنا ! .

ومن العوامل التى تقوى الشخصية ، كما نعلم ، ان نحد من النزعـات الغريزية الكثيرة ، ان الامتناع عن الاستسلام للغرائز ، قد يبدو صعبا لأول وهلة ، ولكننا متى اعتدنا ذلك أصبح هينا يسيرا .

كما أن من يندفع مع غرائزه الجنسية الخاصة ، لا يرى الأشياء الا من منظار غريزى ، ولذلك فانشك يلازمه فى كل نقاء وصفاء ، وينطفىء فيـــه الشعور بما هو سام ورفيع ، ويستكثر فضيلة النساء وينحرر من كل تقاليـد المجتمع ، ثم لا يجنى فى النهاية الا الملل والفراغ ! ولكن من يترفع بنفســه عن حاجات الجسد فان حياته ستملأ بالمشاعر الرفيعة والاحساسات الصافيـة ، والفرح العميق الذى يبعثه الحب الطاهر الصافى ، ان جسده نبيل وقلبه نبيل وتفكيره نبيل ، وهكذا تصبح حياته غنية خصبة بالمعانى السامية .

وهذا وان من يتزوج بعد ان عرف الكثيرات ، لن يستقر على حـــال فهو لن يستطيع أبدا أن يتفهم العواطف الجياشة فى صدر زوجته ، ومن هنا كان سبب الكثير من حالات الطلاق !! .

أمـــا ذلك الذى بقى طاهرا حتى الزواج ، فقد تعود أن يحترم المرأة ، ويحترم فيها شريكة حياته وأم ابنائه . ويرى فى الحب منحة أبدية خالـــدة . والمرأة أبدا ترى فى هذا الطهر عنوانا لاخلاصه فتتعلق به وتتمسك حتى النهاية .

ولنذكر أخيرا أن الامتناع ضرورى حتى اثناء الزواج ، فهناك أمور كثيرة تضطرك للامتناع ، منها الحمل ، والرغبة فى تطويل المدة بين الولادة والولادة، وبعض الأمراض العارضة الخ ... ومن تعود الامتنـــاع قبل الزواج وتمرس به فيستطيع الحرص على مصلحة الزوجة فى مثل هذه الأحوال .

قد تقول لى : جميل جدا هذا ولكن هل يمكن ذلـك ؟ .. أجـــل ! ان الانسان الطبيعى يستطيع أن يحفظ نفسه من الزلل حتى الزواج ، وأمثـال ذلك كثيرة ! .. وقد تقول لى : ولكن ألا يضر الامتناع بالصحة ، وهـــا أنـــا اجيب عن ادعائك هذا بما يلى :

١ — يظن البعض ان الامتناع يسبب هزال الاعضاء الجنسية والحقيقة أن العكس هو صحيح ! وليس لك الا أن ترجع للاطباء وسترى انهم سيقولون لك ان الآباء الذين يمارســون الفعل الجنسى على خير مـــا يمكن هم الذين استطاعوا التمسك بعفتهم قبل الزواج .

٢ — يقول البعض : ان الامتناع يثير الاعضاء الجنسية ؟ والحقيقة ان التمرس بالفعل الجنسى هو الذى يثيرها ، فان ممارسة الفعل الجنسى تجعل الاعضاء فى حالة تنبه دائم ، ثم يأتى يوم لا تستطيع فيه الارادة المقاومة . اما الامتناع الفعلى فيهدىء ويلطف من حدة الرغبة على شرط أن تهدأ الافكـــار والتصورات ! . =

فانه له وجاء (١) (ح٠م) ٠

٣ ــ ويقول لك آخرون ، ان الامتناع يقود الى التعود على الاستمناء باليد . ان من المؤكد ان رفقاء السوء ، أو المشاهد المثيرة قد تقود بعض الشبان الى هذا الفعل ، ومتى انقاد اليه مرة ، استسلم اليه مرات كثيرة غيرها ، لان فقدان الارادة يساعد على ذلك ، وكذلك فى السجون ، كثيرون هم الذين ينقادون لمثل هذا الفعل ولكن هنالك شيئا واحدا تطلبناه منذ البدء وهو قوة الارادة والطهر الكافيان للامتناع ، ولا ننسى أن أولئك الذين يتبعون النساء يقبلون أكثر من غيرهم على هذا الفعل ، وخاصة كلما تعذر عليهم ايجاد امرأة يقضون معها وطرهم ، فهم يجدون فى الاستمناء وسيله أسهل لتصريف حاجة الجسد . اذا من الضرورى قبل كل شىء الاقتناع بأن الامتناع نافع وضرورى والا فلن يجدى شيئا .

٤ ــ يأخذون على امتناع انه يقود الى خطرين :

الأول : فقدان المادة المنوية بطول الامتناع . والحقيقة أن هذا مرض يأتى من ممارسة الفعل الجنسى الدائمة ، فليس هو اذن نتيجة الامتناع وانما هو نتيجة الممارسة والاقبال .

الثانى : « الاستنوام » أى الافرازات التى ترافق النوم ، وهذا الاستنوام ان رافقته أحلام أولا ، فهو وسيلة طبيعية ، يصدر فيها جهازنا العضوى الفائض عنه ، وليس فيه أى حرج ومن الخطر ان نفهم الفتى أن هذه الوسيله مضرة ، لأنه خوفا منها سيستسلم لأفكار سوداء ، وهذه الافكار السوداء اذن ليست الا خطأ الفهم .

ولننتبه الى شىء ، هو أن كثرة التفكير فى النواحى الجنسية تكثر من حالات الاستنوام ، وعندئذ يصبح هذا الافراز فعلا ارداديا غير مباشر . واذن فهذه النتيجة ليست من الامتناع وانما انحطاط الروح هو المسؤول ! .

اما العنه الذى يحدث فى بعضهم فليس مصدره الامتناع بل نتيجة الاسراف فى الاستمناء باليد أو الاسراف فى الفعل الجنسى .

والبحث هنا طويل فى مثل هذا الموضوع ، ولذلك نحيل القارىء على أشهر الاطباء وعلى مؤلفاتهم ، وسيجدون أننا لم نختلق اختلاقا ولكنها تجارب ودراسات واقعية صحيحة الى أبعد حد .

وقال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى تعليقا على حديث « يامعشر الشباب ... » :

وقوله « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » فسرت الباءة بالوطء ، وفسرت بمؤن النكاح . ولدينا فى التفسير الاول اذ المعنى على هذا مؤن الباءة ثم قال : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » فأرشدهم الى الدواء الشافى الذى وضع لهذا الأمر ، ثم نقلهم عنه العجز الى البدل وهو الصوم فانه يكسر شهوة النفس ويضيق عليها مجارى الشهوة ، فان هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته ، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان فى توليدها ، والصوم يضيق عليها ذلك فيصير بمنزلة وجاء الفحل ، وقل من أدمن الصوم الا وماتت شهوته أو ضعفت جدا ، والصوم المشروع

(١) أى وقاية وستر .

الآيـــــة :

*** ودن آياتـــه أن خلق لكم دن انفسكم أزواجا لتسكنوا اليهـــــــا**

= يعد ليـــــا . واعتدالهـــــا حسنة بين سيئتين . ووســـــط بين طرفين مذمومين ، وهما العنة والغلمة الشديدة الفرطة ، وكلاهمـــــا خـــــارج عن الاعتدال وكلا طرفى قصد الأمور ذميم وخير الأمور أوساطها ، والاخـــــلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفى ، وجعل بينكم افراط وتفريط ، وكـــــذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين،وكذلك السنة وسط بين بدعتين،وكذلك الصواب فى مسائل النزاع اذا شئت أن تحظى به فهو القول الوســـــط بين الطرفين المتباعدين ، وليس هذا موضع تفصيل (هذه) المجملة ، فانا لم نقصد لـــــه وبالله التوفيق .

(١) ... فالأنوثة لم تبدع الانسانية جسدا وصورة فحسب ، بل قـــد سكبت فى الانسانية أيضا مع لبن الرضاع من ذوب حبها وحنينها ما أحـــــال غموض الطفولة وغفلتها الى وضوح وعبقرية فى استيحاء معانى الانسانية ، من النظرات والبسمات وقسمات الوجوه ، فى ايائها .

لا ، بل من هذب الرجولة فى بواكيرها فبدلها بالظلمة شرابـــة ومروءة وبالوحشة أنسا وفرحا ، وبالانانية نبلا وفداء . وبالاربالة تعففا وتمسكا ؟ من ثقفها فى فجرها فكشف لها عن اسرار الحياة ؟ من أعطى الزهرة جمالها ، وللاعصان دلها ودلالها ؟ من سكب الروعة على تقيات الصـــــنوح وصب فى الذروة صبوتها ؟ من لون لها نابتات السفور وفاصلات الدروب ودارســـات الربوع ، بجميع الوان الحياة ولا حياة ولا الوان ، الا الكريات ؟!

من فهمها نجوى الطيور وهمس أنجم ووشوشات السمران من أعمال لها ذيلم الناس وأكواخهم فراديس تفيض على الوجود ، غبطه ونعمى وسلاما ؟

أية يد ساحرة مسحت بأناملها العبقرية هذه الفترة البكر ، فوشحتهـــــا البطل خلوها غنانا ، فتستعيد الحياة على يديه جدتها وصبوتها ، همة وتوثبـــا ونبضا بالمعانى،لحظة بعد لحظة وجيلا بعد جيل ، الى أن تفنى الحياة ولا تفنى!

من فعل فينا كل ذلك ، غير طيف الأنوثة يوم تراءت لنا بقاماتها الطلعـــة وقسماتها وجهها المقبلة ، مع احلام الشباب وأمانيه العذاب .

وهذه الرجولة فى اوج شدتها ، من دقق لها من خشونتها حتى لا ارق ولا ألطف ؟ ومن قسى لها من مفاهيم الشرف والكرامـــــة حتى ألانت وحتى اذهار ؟ من ذا الذى يستطيع أن يستنفذ كل ما فى الرجولـــة من خير وخصب وروح جمالية وبدعة غير الانوثة الصحيحة ، وطن أول للرجل ، قد غلا وعـــز على نابه من أجل هذا الوطن الحبيب ، كل شبر مقدس من أرض الوطن . ..

وجعل بينكم مودة (١) ورحمة (الروم : ٢١) .

الحـــــديث :

*** حبب الى من دنياكم : النســـــاء والطيب ! وجعلت قرة عينى فى فى الصلاة (٢)** (ن حم حا) وسنده صحيح .

= هذه الانوثة الصحيحة .

فالأنوثة ليست جسدا فحسب ، بل هى قبل ذلك تجسد للحب المقدس والجمال والرقة والروح المتذبة والتعلق النبيل ، فلو استطاع الرجل العبقرى أو غير العبقرى ، أن يعيش هذه المظاهر الانسانية الاصيلة فى رسالـــة أو دواية ، فانه قد يستطيع أن يستعيض بها عن المرأة ، ولكن استعاضة الظمآن عن الماء القراح بمقطر انفواكه وعصيرها ! . .

وهيهـــــات !! .

واذن . فعندمـــا يقتصر الفنـــان ، فى فنـــه ، على الجـــانب البســـدى من الأنوثة ، الا يكون ذلـــك ضيقا منـــه فى الافق وقصرا فى النظر . لم يستطع معه ان يستوحى من الأنوثـــة الا الجـــانب الجنسى ، والانوثة على ما هى عليه من خصب وفيض وتلون !! .

وعندما ينحدر الفنان الى المستوى الجسدى . ألا يعنى ذلك أيضا أنـــه ضاوى الصبوة ، هزيل النزعة الفنية ، لم يستطع أن يرتفع بها الى مستواها الصحيح ، مجسدا للجمال والحنان والرحمة والحب ، الى حيث يمازج الفن بالأخلاق ، فى قسمات الوجوه وبسمات الثغور والنظرات .

لا ، بل أين الفن مع المستويات الغريزية ، والغريزة قتل لكل حريـــة ونبض وحركة ! (رسالة لا فن بلا اخلاق) .

(١) تشير هذه الآية الكريمة الى معنى سام رفيع ، وتبين بأن الرابطـــة بين الرجل والمرأة ليست رابطة مضاجعة فحسب ، بل رابطة رعايـــة وحب وحنان وعطف وكم فى ذلك من تكريم لشخصية المرأة ورفع لمكانتها .

(٢) ومهما كان من حب الرسول لنسائه حتى عائشة منهن ، فانـــه ترك لربه نهاية الحب فقد صح عنه أنه قال « لو كنت متخذا فى الأرض خليـــــلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وفى لفظ « لكن صاحبكم خليل الله ! » .

« وقوله من دنياكم أى حببنى الله فى هذين أكثر من غيرهما ، وهما نعيم فى العاجل وقربة فى الآجل . أما النساء ، فلأنهن مصابيح البيوت وعمارهـــا وانسها ، ومنبت الاولاد واسسها ، وما أعظمها مزية ! واما الطيب فلأنـــه منعش للنفوس ومفرح للملائكة الكرام ، وأما الصـــلاة ، ففيها قرة العـــين وعظم السرور ولذة المناجاة بين العبد وربه تعالى ، وهذه أسعد أحوال الانسان واشرافها » (التاج الجامع للاصول) .

ذكر الامام ابن الجوزى فى كتاب « نوادر الأذكياء » أن شاعرا مر بنسوة فأعجبه حسنهن ، فأنشد يقول : =

الأحاديث :

* جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى (ص) يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها ، فقالوا :

وأين نحن من رسول الله (ص) وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !.

فقال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر :

أنا اعتزل النساء ولا تزوج أبدا .

فجاء رسول الله (ص) اليهم فقال :

أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

أما والله !! انى لأخشاكم لله ، واتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى !! (خ) .

= ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فأجابته واحدو منهن :

ان النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهى شم الياحين !!

جاء فى كتاب (تحفة العروس) : وعلى قولها : ان النساء رياحين حكى صاحب (كتاب واجب الآداب) قال : وقع خالد بن الزبير بن معاوية يوما فى عبد الله بن الزبير ، وأقبل يصفه بالبخل ، وزوجته رملة بنت الزبير أخت عبد الله جالسة ، فاطرقت ولم تتكلم بكلمة . فقال لها خالد : مالك لا تتكلمين ! أرضى بما قلته أم تنزها عن جوابى ؟! فقالت : لا هذا ولا ذاك ! ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال ، انما نحن رياحين للشم والضم ! فما لنا وللدخول بينكم ؟! فأعجبه قولها فقام وقبلها بين عينيها ! .

(١) ومما يؤسف له انه على الرغم من جميع توجيهات القرآن والسنة فى الحض على الزواج ، نرى الصوفية ينفرون منه ، ويأمرون الناس بتركه : وفى هذا منتهى الحماقة ، أو منتهى المؤامرة على افناء المسلمين وتعريضهم للفواحش ، وقد رد عليهم الامام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس ابليس » وأوضح ضلالهم ، فكان مما قاله تحت عنوان تلبيس ابليس على الصوفية فى ترك النكاح : =

* آخى رسول الله (ص) بين سلمان وأبى الدرداء فجاءه سلمان يزوره (١) ، فاذا أم الدرداء متبذلة فقال : ما شأنك يا أم الدرداء قالت حاجة ! .

قال : انى صائم .

قال : أقسمت عليك لتفطرن ، ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل معه . ثم بات عنده ، فما كان الليل أراد أبو الدر داءأن يقوم ، فمنعه سلمان وقال : أن أخاك أبا الدرداء يقوم الليل ويصوم النهار وليس له فى شىء من الدنيا

يا أبا ادرداء ان لجسدك عليك حقا ، وان لاهلك عليك حقا ، صم وافطر ، وصل ، وآت أهلك !! .

= وأعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم الى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه ، قال أبو بكر بن زكريا الرازى : أعرف قوما عالجوا كثيرى المنى ، فلما منعوا أنفسهممن الجماع لضرب من التقلسف بردت أبدانهم،وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب ، وعرضت لهم اعتراض المالیخولیا (المزاج السوداوى) وقلت شهواتهم وهضمهم . وقال : ورأيت رجلا ترك الجماع ، ففقد شهوة الطعام ، وصار ان أكل القليل لم يستمريه (يستطيبه) وتقاياه ، فلما عاد الى عادته من الجماع ، سكنت عنه هذه الاعراض سريعا .

النوع الثانى : الفرار الى المتروك ، فان منهم خلقا كثيرا صابروا على ترك الجماع ، فاجتمع الماء فاقلقوا (أى ازعجوا) ورجعوا فلامسوا ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فرو امنه (أى صار عندهم رد فعل فانغمسوا فى الشهوات ...) .

انوع الثالث : الانحراف الى صحبة اصبيان !! ...

وقد حمل الجهل اقواما فجبوا أنفسهم (أى قطعوا اعضاء تناسلهم) وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى ! وهذه غاية الحماقة . لأن الله تعالى شرف الذكر على الانثى بهذه الآلة ! لتكون سببه للتناسل . والذى يجب نفسه يقول : بلسان الحال : الصواب ضد هذا . ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس ، فما حصل مقصودهم أ . هـ . بقليل من الاختصار .

(١) أى لابسة البذلة أى ثياب المهنة ، والمراد انها لباس الزينة .

واعط كل ذى حق (١) حقه . فلما كان فى وجه الصبح ، قال : ثم الآن ان شئت .

فقام فتوضأ ثم ركعا ثم خرجا الى الصلاة ، فـــدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله (ص) بالذى أمره سلمان ، فقال له رسول الله :

يا أبا الدرداء ان لجسدك عليك حقا ، مثل ما قال سلمان ، (وفى رواية صدق سلمان) ح . ت .

---

(١) ان الاسلام دين الحياة ، فهو لا يقف حائلا دون تحقيق الرغبـــات والغرائز ، بل يشجعها وينتح لها المجال ، ولا غرابة فى ذلك . فان على هـذه الغرائز يتوقف بقاء البشرية ، فمحاربتها حماقة ما بعدها حماقة ، انمـــا السعادة فى توجيهها ورسم الطريق لها .

ولا يستغرب القارىء اذا قلنا ان الاسلام يسعى لتحقيق المتعة الدائمة واستمرار الحياة السعيدة ، فهو حينما حرم الزنا والخمر مثلا ، فانمـــا قصد — من جملة ما قصد — الابقاء على سلامة الجسم وقوته ليتسنى لـــه الاستمرار على تحقيق متعته فى أطول وقت ممكن . فهو لا يضع — كمـا يظن بعض الجهلاء القيود والسدود امام منع الانسان للحيلولة دون الأخذ بهـا بنصيب وافر دائم . انما غايته تحقيق وتوفير أعظم متعة ممكنة .

وقد رأينا كيف ثار النبى (ص) على النفر الثلاثة حينما رسموا لأنفسهم طريقا منحرفا يحارب الطبيعة البشرية وتحول دون تنفيذ غرائزها . ظـانين انهم بذلك يتقربون الى الله فأخبرهم الرسول العظيم (ص) انهم بعملهم هـذا يبتعدون عن الاسلام وعن مبادىء الفطرة السليمة . .

كل ذلك لأن العزوبة سر كلها ولا ينجو من آثامها الا النـــادرون واذا نجحوا فانهم يعانون الآم وسوسة الشيطان ويستغلون انفسهم بمقاومـــة الشهوة الجنسية وكل ذلك يصرفهم عما فرضه تعالى عليهم فى أحيان كثيرة .

قال ابن عباس تزوجوا فان يوما مع التزوج خير من عبادة كذا عام ! .

وقال ابن مسعود — وهو مطعون — زوجونى فـانى أكره أن ألقى الله عازبا ! . .

وقال ان أحمد بن حنبل تزوج فى اليوم الثانى لوفاة أم ولـــده عبد الله وقال : أكره أن أبيت عزبا .

اختيـــار الزوج والزوجـــة الصـــالحين (١)

الآيـــــات :

*** ان اكرمكم عند الله اتقاكم** (الحجرات : ١٣) .

*** وانكحوا الأيامى منكم والصالحين (٢) من عبادكم .**

---

(١) ان من أهم مشكلات لزواج وصعوباته وانحلالـــه ناجم عن التسرع فى اختيار شريك أو شريكة الحياة دون: بحث وتدقيق . وكم سارع الشـــاب — ومثله الشابة — فى انتقاء عروسه بمجرد سحره بجمالهـــا ، فوقع على أم رأسه وقاسى الويلات وقل مثل ذلك فى الشابة المتسرعة ! .

وانى أذكر بهذه المناسبة اسطورة رجل خير فى أن يختار زوجتـــه من طائفة من فتيات الجميلات كن على مقربة منه ، فأرسل بنظره لى جبل عـــال يناطح السماء ، واختار فتاة فوق قمته وقال :

أتزوج هذه المرأة لأنها صعبة المنال بعيدة عن الانظار !! .

لهذا كله حض الاسلام على حسن اختيار الزوج أو الزوجـــة من ذوى الاخلاص والصلاح والدين والعفة والمتعة كما سترى من الآيات والأحـــاديث التاليـــة ..

ومن طريف أعمال الجامعات الغربية ان احداها عمدت الى تأليف مجلس خاص أسمته (المجلس الاستشارى لشؤون الزواج) يعالج الأمور الجنسية ويفيد الشبان والشابات فيما يختص باختيار شريك الحياة . وينصح كـــلا منهما الى انتقاء الآخر وينهى عن التسرع ، ويحذر ممن هو طائش وغير جدير بتحمل التبعات الزوجية !! .

(٢) لم يشترط هذه الآية الكفاءة فى الزوج الا الصـــلاح ، وهو الدين وحسن الخلق والقدرة على النكاح ، ولم تشترط الغنى ، بل وعد الله فيهـــا بأنه يغنى الفقراء من الأزواج ، ومن أصـــدق من الله قيـــلا ! الكفـــاءة هى التمسك بالاسلام ومكارمه . واذا أضيف الى ذلك العلم يكون أفضـــل ، والعلم يدخل فى الاسلام الى حد بعيد . والمقصود بالعلم هنا دراســـة القرآن والسنة والعمل بهما .

أما كفاءة النسب والمال فليس لها وزن فى الاسلام ، فقد زوج رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنة عمته من زيد بن حارثة . وزوج عبـــد الرحمن بن عوف اخته من بلال الحبشى ، وزوج أبو حذيفة سالما من هنـــد بنت عتبه بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الانصار ..

قال ابن أبى مليكة (نقلا عن كتاب الدين الخالص لصديق حسن خـــان رحمه الله تعالى ٤/٤٢٨ — ٤٢٩) : لما كان يوم الفتح رقى « بلال » فـــأذن على الكعبة ، فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر العقبة؟ وقال بعضهم : « ان سخط الله هذا يغيره » فنزلت الآية : **(يا ايها =**

وامائكم (١) ان يكونوا فقراء (٢) يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (النور ٣٢) .

الأحـــــاديث :

* اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقـــه فزوجوه !! الا تفعلوا تكن فتنة (٣) فى الارض ...

= **الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) . اخرجه ابن المنذر ، وابن أبى حـــاتم والبيهقى فى الدلائل .

وعن الزهرى قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنى بياضة فنزلت هذه الآية . اخرجه ابو داد فى مراسيله ، وابن مردويـــه ، والبيهقى فى سننه .

قال الزهرى : نزلت فى أبى هند خاصة .

وعن عمر بن الخطاب أن هذه الآية ملكية ، وهى للعرب خاصة ، الموالى اى قبيلة لهم ، واى شعاب .

(١) والأيم هى التى لا زوج لها ، او من ليس له زوجة . ومعنى الآيـــة كما قال بن الجوزى : ((**زوجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم**)) .

(٢) قد يقول قائل : كيف يمكن التســـاهل فى زواج الغنى من الفقيرة ، أو الفقير من الغنية ، وهما يختلفان فى العادات والتقاليد التى من شـــأنها أن تجعل اختلافا فى الطباع مما يؤدى الى التنافر .

أقول : ان الاسلام من شأنه أن يوحد بين المسلم والمسلمة فى عاداتهمـــا وتقاليدهما ، ما دامت اوامره ونواهيه مشتركة بين الجميع ، فيكيفهمـــا على نسق واحد حتى فى الميول . ومن هنا يزول التباين والتباعد مهما كان اختلاف فى الغنى والفقر ويتم التفاهم والتوافق فى التفكير والاهتمامات المشتركـــة .

قال أحد العلماء الغربيين : ان المسلم الهندى أشبه بالمسلم العربى منه الى مواطنه الهندى البوذى الذى عاش بجواره قرونـــا طويلة ، وذلـــك لأن الدين اذا تمسك به اتباعه بحق من شأنه أن يصهرهم فى بوتقـــة واحـــدة ويوحد بينهم ويكفهم على نسق واحد بعيد عن الاختلاف والتباين .

وهذا شبه مفقود اليوم — ويا للأسف — بين المسلمين بسبب بعدهم عن العادات الاسلامية المشتركة وتقليد الأغنياء منهم — على الغالب — للاجانب مما أفقدهم شخصياتهم حتى غدوا ذللا لهم !! ...

(٣) الأمر الذى لا شك فيه أنه لولا لزواج لانتشرت الرذائل والمفاسد . وتحللت الأخلاق . ولهذا يقول النبى (ص) : (**الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**) ، ولذلك لا عاصم لكثير من الناس من هذا البلاء ما لم يتزوجـــوا الا بالتقوى وغض البصر ومجاهدة النفس ، وهو مع ذلك عرضة لوســـاوس الشيطان . =

وفساد عريض (١) !! (ت) وسنده صحيح .

* تنكح المرأة لأربع ، لمالها ، ولحسبها ، ولدينها (٢) .

= ان عدم الزواج يشغل القلب ، والقلب السليم هو راس مال المسلم فى طريقه الى الله ، فاذا اشتغل القلب عنه تعالى ، فاته الكثير من الخير (الحياة الزوجية) .

(١) ان كانت الزوجة فاسدة الدين باستهلاك مال الرجل او بوجه آخر ، لم يزل عيشه مشوشا ، معها ، فان سكت ، ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى : **(قوا انفسكم واهليكم نارا) وان انكر وخاصم ، تعب** ، ولهذا أكد رسول الله (ص) فى التحريض على ذات الدين فقال : « ... عليك بذات لدين تربت يداك » .

وانما ركز الشارع على الدين ، لأن الزوجة المتدينة تكن عونا على الدين ، فاذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ، ومشوشة له (عن رسلة الحياة الزوجية بقليل من التصرف) .

(٢) ان الدين اهم عامل فى الكفاية (لكفاءة) فالرجل الذى يعمل بأوامر الاسلام ويتجنب نواهيه . يكون برا بزوجته ، امينا عليها . والمراة ذات الدين لا تنخدع لهواها ولا ترخص لنفسها ، ولا تهمل شان بيتها . ولا تغفل عن تربية ابنائها وتأديبهم ، واصلاح شأنهم ، ولا عن حقوق زوجها . فالدين يحد من توتى الغضب والشهوة ، ويكفى انه علاج ناجح لشفاء النفوس ، وواق لها من فساد الخلق والتردى فى مهاوى الرذائل . والتدين شىء والغلو فى الين شىء آخر . فقد قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : « خير هذه الأمة النمط الاوسط ليرجع اليهم الغالى ولاحق بهم التالى » وقد عرفت اسرا فيها الرجل الذى يقضى معظم أيام الاسبوع صائما والليالى قائما ، وكانت زوجته تشكو مر الشكوى من هذه الحالة . وكانت فى كثير من الظروف معرضة لما لايرضى به الرجل العزيز النفس ، وكذلك اسرا بها المراة كانت متطرفة فى صومها وتعبدها ، وكانت لمنزلها مهملة ولأولادها غير مكترثة ، وكانت النتيجة فى الحالتين وبالا ، فالحسنة بين السيئتين : اى بين الافراط والتقصير فى الدين ، وخير الأمور أوساطها وقد يفسر علماء النفس هذا الافراط بأنه مرض نفسانى ، غير أنه يكون عن عقيدة ، أو تقليدا أو انانية للاستئثار برضاء الخالق ، ولكنه ما لم يدخل فى هناءة الزوجة والسعى على الرزق ، فهو خير الف مرة من التفريط . فالله له علينا حق والبدن له حق والأهل لهم علينا حق .

وحديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع عبد الله بن عمرو مستفيض. فقد كان ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يصوم الدهر ، وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدعاه وقال له : اذا لم يكن بد من الصوم فصم صوم اخى داود كان يصوم يوما وفطر يوما ، وخير لك أن تعلم أن لبدنك عليك حقا ، ولأهلك حقا الى آخر الحديث وراه الشيخان (الأزمات الزوجية وعلاجها للدكتور محمد زكى شافعى) ص ٧٢ — ٧٣ .

واجمالها (١) ، فاظفر بذات الدين تربت (٢) يداك (خ م . ذ . ن . هـ)

(١) وليس معنى ذلك ان مطلب الجمال ليس مقصودا ، انما المراد ان لا يقتصر عليه فى طلب الزواج ، والا فان للجمال اعتباره كما يتضح من حديث « انظر اليها فانه احرى أن يؤدم بينكما » وحديث رفض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمرأة التى عرضت نفسها عليه بعدما تأملها ! .

(٢) ومعناه اظفر بذات الدين ولا تلتفت الى المال ، أكثر الله مالك ، ومما سبق ندرك أهمية اختيار الزوجين لكل منهما ، والحذر الحذر من الاختيار السريع الناجم عن الحب البدهى فكثيرا ما يؤدى الى اسوأ العواقب ، والاختيار الصحيح ما كان بعد روية وتأمل وبحث عن السلوك والتربيه .

جاء فى كتاب « السعادة الزوجية فى الاسلام » :

كنت استمع الى المذياع يوما ، فسئل رجل .

هل تحب أن تكون امرأتك جميلة جدا ؟!

قال الرجل : لا !!

قيل له : هل هناك احد يكره الجمال الفتان ؟!

قال الرجل : ان الجمال الفتان يعقبه دلال فتان ! ومشكلات لا تنتهى ؟!

واعجبنى هذا الجواب !

فلابحث عن انسانية المرأة أولا .. عن دينها .. عن خلقها ، عن عفافها ، عن عنصرها الأصيل .. عن ثقافتها التهذيبية .. عن عقلها الرشيد .. وذلك لا يمنع من البحث عن الجمال (بعد ذلك) ص ١١٥ ــ ١١٦ .

وقد ذكر بعضهم النصائح التالية لاختيار الزوج أو الزوجة :

١ ــ لا تسأل عن المدرسة التى تعلمت فيها الفتاة ، قبل أن تسأل عن البيت الذى ربيت فيه ..

٢ ــ تزوج ابنة والدة صالحة .

٣ ــ الزواج شركة معيشية ، فاختر لك شريكة توافقك مشربا وطباعا واخلاقا .

قد يقول قائل :

اذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحض على الزواج ، بذات الدين ، كيف اذن الله سبحانه بالزواج بنساء أهل الكتاب ؟!

الجواب فيما يبدو لى ــ ان الله تعالى شفقة على المرأة الكتابية ورحمة بها ، اذن بالسماح بزواج المسلم بها لعلها ترجع الى دين الفطرة الذى جاء به ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء صلى الله عليهم وآلهم وسلم ، فتدرك الحقيقة وتدخل فى دين الله حين اتصالها بالحياة الاسلامية .

هذا ــ واننى أرى أن الزواج بنساء أهل الكتاب مقيد بضمان تربية الأولاد تربية اسلامية ، وصيانة البيت الاسلامى من مظاهر الشرك ، لئلا تسرى العدوى الى الابناء والبنات والقاعدة الفقهية تقول : « مالا يتم الواجب الا به فهو واجب » .

= وهذه الشروط غير متيسرة اليوم ـ ويا للأسف ـ لضعف شخصية اكثر الازواج امام نسائهم ! وترك تربية اولادهم لهن .. !!

لهذا ادعو الى التوقف عن نكاح الكتابية فى هذه الحال بناء على القاعدة الفقهية ، « درء المفاسد ، مقدم على جلب المصالح » وكيف وان مصلحة هداية الكتابية مشكوك فيها فى الوقت الحاضر على يد زوجها الا نادرا !

زد على ذلك ان العلماء اختلفوا فى نكاح الكتابية الحربية ، فقال ابن عباس لا تحل ، والجمهور على خلافه ، وانما كره ذلك لقوله تعالى : **(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)** . (المجادلة : ٢٢) .

والنكاح يوجب الود ، وأرى صواب رأى ابن عباس اذا تحقق الخطر من الزواج بالحربية . وهذا هو الواقع على الغالب . وقد كان الأزواج المسلمون من الجزائريين يلاقون المضض من زوجاتهم الفرنسيات خلال الحرب الجزائرية الأخيرة ضد فرنسا ! .

ورحم الله تعالى الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعى فقد قال فى مقال بعنوان : « الأجنبية » .

لا تتزوجوا يا اخوانى باجنبية . ان اجنبية يتزوج بها مسلم هى مسدس جرائم فيه ست قذائف !! .

الأولى : بوار امراة مسلمة ، وضياعها بضياع حقها فى الزواج ، وتلك جريمة ـ كما سماها ـ وطنية ! فهذه واحدة .

والثانية : اقحام الاخلاق الأجنبية عن طبائعنا وفضلائنا ، فى هذا الاجتماع الشرقى ، وتوهينه بها وصدعه ، وهى جريمة اخلاقية ! .

والثالثة : دس العروق الزائفة فى دمائنا ونسلنا ، وهى جريمة اجتماعية ! .

والرابعة : التمكن للأجنبى فى بيت من بيوتنا يملكه ويحكمه ويصرفه على ما يشاء ، وهذه جريمة سياسية ! .

والخامسة : للمسلم منا ايثاره غير اخته المسلمة ، ثم تحكيمه الهوى فى الدين ما يعجبه وما لا يعجبه ، ثم القاؤه السم الدينى فى نبع ذريته المقبلة ، ثم صيرورته خزيا لأجداده الفاتحين الذين كانوا يأخونهن سبايا ، ويجعلونهن فى المنزلة الثانية او الثالثة بعد الزوجة ، فاخذته هى رقيقا لها ، وصار معها فى المنزلة الثانية او الثالثة بعد .. ـ يريد بعد عشيقها ـ وهذه جريمة دينية ..

والسادسة : بعد ذلك ان هذا المسكين يؤثر اسفله على اعلاه ... ولا يبالى فى ذلك خمس جرائم فظيعة ، وهذه السادسة جريمة انسانية !!! . هـ .

زد على ذلك أن هؤلاء الأجنبيات هن كتابيات بالاسم ، فان اغلبهن مشركات ملحدات فكيف يمكن الجمع بينهن وبين الرجال المسلمين ، فهم =

من تزوجت زانيـــا كـــانت زانيـــة مثلـــه

الآيـــــات :

*** الزانى لا ينكح الا زانيـــــة أو مشركـــــة ، والزانية لا ينكحها الا زان (١) او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (٢)** (النور : ٣) .

= كما قال الشاعر :

ايها المنكح الثريـــا سهيلا عمرك الله . كيف يلتقيـــان
هى شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا ما استقل يمـــان

وينبغى أن نذكر بهذه المناسبة ان الله سبحانه حـــرم زواج المسلم بالمشركة والكافرة كالمجوسية والبوذية بقوله : (ولا تنكحوا المشركـات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم) .

وذلك لاستحالة اجتماع الزوجين على عقيدتين متنافرتين ممـا بسبب نزاعهما ويؤدى الى المخاطرة بعقيدة الأولاد وفسادهم حتما .

فاذا ترتب من زواج الكتابية هذا المحذور الرهيب ــ كما هى الحـال الآن ــ رجع الحكم الى أصله بالتحريم ! .

(١) ذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى الى انه لا يصح العقـد من الرجل العفيف على المراة البغى (المومس) ما دامت كذلك حتى تستتاب، فان تابت صح العقد عليها ، والا فلا . وكذلك لا يصح تزويج المراة الحـرة العفيفة بالرجل الفاجر ، المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعـالى : **(وحرم ذلك على المؤمنين)** ا . هـ .

(٢) قال الامام ابن كثير : « أى حرم تعاطى الزنا ، والتزوج بالبغايا ، أو تزويج العفائف بالرجل الفجار » .

ومما يؤسف له هذا المقياس ليس له اعتبار فى كثير من الأسر ، فـاذا قيل ان الخاطب يزنى ، قال اقرباء المخطوبة : (لا مانع ما فى شجرة الا مـا هزها الهواء) ، واذا قيل لهم أنه لا يصلى . قالوا : انه لا يزال جاهـلا وشابا . واذا قيل لهم انه يشرب الخمر قالوا : ان الله سيمحى كأساتـه . واذا قيل لهم ان عقيدته فاسدة لم يابهوا لذلك مطلقا ، اما اذا قيل لهم انـه متوسط الحال ، فيصيحون ويرفضونه مهما كان صالحا وحسن السيرة !!

والويل ثم الويل لهذه الفتاة من هذا الزوج ، فان مستقبلها مهـدد بالكوارث وحياتها معرضة للفساد والفتنة بسبب وجودها عند رجـل زان ، فهى اما ان تفقد دنياها بارتكاب المحرمات ، واما ان تعيش بائسة شقية اذا كانت متدينة .

وقد علمت ان فتاة تزوجت شابا يشرب الخمر ، فسافر بها لقضاء =

الحـــذر الحـــذر من الخـــداع بالمظاهـــر

الآيـــــات :

*** (واذا رايتهم تعجبك اجسامهم ، وان يقولوا تســـمع لقولهـــم كانهم خشب مسندة ... (المنافقون : ٤) .**

الأحـــاديث :

« مر رجل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

ما تقلولن فى هذا ؟

قالوا : هذا حرى ان خطب أن ينكح ، وان شفع أن يشفع ، وان قـــال انيستمع ثم سكت . فمر رجل من فقراء المسلمين فقال — النبى — ما تقولون فى هذا ؟! .

قالوا : هذا حرى ان خطب الا ينكح . وان شفع الا يشفع ، وان قال الايستمع! .

فقال رسول الله (ص) : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا ! (خ) .

= شهر العسل فى احد فنادق لبنان . فاجبرها على الشرب . فى الليلة الأولى قبل الدخول بها فسكرت وسكر ، ثم خرجت من غرفتها لقضاء حاجتها . ولما رجعت دخلت غرفة غير غرفتها بسبب السكر ، وكان فيها رجل فافترسهـــا وبقيت عنده الى الصباح . كان زوجها استسلم للنوم نتيجة السكر ..

فكان ما كان مما لست اذكره فظن شرا ولا تسال عن الخبر

روى ابو نعيم فى الحلية قال :

خطب ابو طلحة ام سليم قبل ان يسلم . فقالت :

اما انى فيك لراغبة ، وما مثلك يرد ... ولكنك رجل كافر . وانـــا امراة مسلمة لا يصلح لى أن أتزوجك .

فقال ماذا دهاك يا رمضاء ؟! .

قالت : وماذا دهانى ؟ .

قال : اين انت من الصفراء والبيضاء (يريد أن يغويهـــا بالذهب والفضة) .

قالت : لا أريد صفراء ولا بيضاء ا فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا .

أما تستحى ان تعبد خشبة من الأرض نجرها حبشى بنى فـــلان ؟ =

وجـــوب النظر (١) الى الخاطب والمخطوبـــــة

الأحـــاديث :

* قال ابو هرة (ر) كنت مع النبى (ص) فأتاه رجل ، فأخبره انـــه تزوج امرأة من الأنصار فقال رسول الله (ص) انظرت اليها ؟! قال : لا !

قال : فانظر اليها ! فان فى اعين الأنصـــار شـــيئا ، يعنى الصـــغر (م . ن . ط) (ص) .

وقد جاء تعليل هذا الأمر فى حديث صحيح وهو :

= ان انت أسملت ، فذلك مهرى ، لا أريد من الصداق غيره !

قال : ومن لى بالاسلام يا رمضاء .

قالت : لك بذلك رسول الله عليه وآله وسلم ، فذهب اليه واسـلم . (الحديث) .

(١) ومباسبة الكلام على وجوب النظر الى الخاطب والمخطوبـة نلفت الانتباه الى عادة ســيئة تفشت فى أسر كثير من المســلمين والمسلمـــات ـــ ويا للأسف ـــ وهى عادة الاختلاط المحرمة قبل عقد الزواج بقصد التجربة والاختبار . وقد جاء فى رسالة « تقاليد يجب أن تزول » وصف رهيب لهـذا الاختلاط ونتائجه الفظيعة نقله للآباء والامهات ليكونوا على حذر منه :

باسم المدينة الخداعة التى غزتنا فى ديننا واخلاقنا وسلوكنا ، وصرنـا لها أسرى . باسم هذه المدينة والتقليد الأعمى قبلنا وضعا شـاذا لا يتناسب مع خلق ولا دين . الا وهو الاختلاط بين الخطيبين على سبيل التجربة قبـل زفافهما ، وأطلقنا الحبل على الغارب فى هذا المضمار حتى تم الاختـلاط على ابشع صورة دون رقيب أو حارس من ضمير او أهل أو دين . وهناك قربنـا البارود للنار والفريسة لقمة سائغة للوحش الضارى باسم الحضـارة ، ولا تسل عن الفضائح والمخازى التى نجمت ولا تزال تسود انهر الصـحف كل يوم من الاختلاط الآثم وفض العذارى وهتك العرض حتى صار عـادة لا يتمعر لها وجه ولا يندى لها جبين .

وبعد أن يمتص الشعبان رحيق متعته ويمل منها طبعا ـــ فـان الملوك مملول ، وأحب شىء الى الانسان ما منع ـــ يهجر هذه تحت أى عيب يلصقـه بها يحملها من أجله عارا أو شنارا . وقد تكون حاملة آية الجريمة الخلقيـة فى احشائها ، ثم يبحث عن فريسة جديدة يمثل معهـا نفس الـدور ، ومن ثم تشيع الفاحشة ويبور سوق الزواج . فما الذى يدعو هذا الشاب الطليق الذى ينطلق من بنت الى بنت ، ومن شهوة الى أخرى بلا حسيب ولا غريم ؟

ماالذى يدعوه الى قيد الزواج وتبعاته واغلاله ، والفاجرات أمامـه يعرضن أعز ما يملكن عليه بلا ثمن ؟ .

=

* انظر اليها ، فانه أحرى أن يؤدم بينكما (ب . ن . ع) ص
* اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر الى مـــا يدعوه فى نكاحها فليفعل (د . طح حم هـ ر) (ص)
* اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر اليها اذا كان المـــا ينظر اليها وان كانت لا تعلم (٢) (طح حم) (ص) .

= وهنا يحجم الشبان عن الاقتران الحلال ، ويسأل الآباء والامهـات عن هذا الاعراض وما سببه ؟ وما هى الا المدنيه الكاذبه التى حملنا أوزارهـا وهجرنا من أجلها تقاليدنا ودیننا وشرفنا . ان الاسـلام يحـذر من خلوه الأجنبية بالأجنبى وينذر بأن الشيطان ثالثهما ويقول الرسول (ص) :

ما تركت تعدى فتنه أضر على الرجال من النساء .

ويقول بعضهم . لو لم يبق فى الدنيا الا عـرق رجـل وامـرأة لحن كلاهما للآخر . وهؤلاء يدعون زورا أنـه اختلاط شريف بين فردين من أسر محترمة ، جاهلين أو متجاهلين غرائز الفطرة وشغف أحد الجنسين بالاخر .

ان الاسلام اباح للخاطب ــ اذا صدق فى عزمه وهيأ الأسباب المعادة للزواج أن ينظر الى الوجه والكفين وان يرسل من السيدات المخلصات من يتعرف على اخلاق مخطوبيه وسلوكها وله أن يتحرى فى هذا كثيرا وأن يتخير لنطفته فان العرق دساس .

اما ان يصل الأمر الى درجة ما حرم الله فهذا ما حلب العار والدمـار ولن يفلح الناس الا بالعودة الى شريعة دينهم والمباعدة بين الجنسين . كل منهما يعمل فى ميدانه الذى أمر به غير باغ ولا عـاد . وفيما تطالعنا بـه الصحف كل يوم عبرة وعظة ولن نقبل نحن شباب على البلاء يتهف وشغفه الا ان عادت الى خدرها محصونـة من التبذل والرخص وتحصنت فى حصن حجابها الحارس لها . من ذئاب البشرية فهناك تهفو لهـا القلوب وتبحث عنها النفوس .

(١) أى انه ادعى لدوام المحبة والالفة . قال الامام ابن القيم : ان يؤدم بينكما أى يلأم ويوفق ويصلح . ومنه الادم الذى يصلح به الخبز . واذا وجد ذلك كله . وانتفت المناسبة والعلاقة التى بينهما لم تستحكم المحبة وربما لـم تقع البتة . فان التناسب الذى بين الأزواج من أقوى أسباب المحبـة . (روضة المحبين ص ٦٦) .

ومما يؤلم ويحز فى النفس ان كثيرا من الآباء يمتنع عن السماح للخاطب برؤية ابنته ، ويسمح له باعطائه صورتها الشمسية التى التقطها لهـا اجنبى عنها وهى بحالة يندى لها الجبين ، وربما نتج عنها المساوىء نتيجة لقـاء الصورة عند المصور أو الخاطب عن طريق نسخها وكل ذلك نتيجـة ترك السنة النبوية !! والتمسك بالعادات الباطلة ! .

(٢) وقد عمل بهذا الحديث بعض الصحابة ، وهو مسلمة الانصـارى فقال : سهل بن ابى حثمة : رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك =

الفحص الطبى قبـــل الـــزواج

الأحـــــاديث :

* فر من المجذوم فرارك من الأسد (خ) .
* لا يوردن ممرض على مصبح (١) (خ) .
* لا ضرر ولا ضرار (حم . هـ) ص .

= فوق اجار لها ببصره طردا شديدا ! فقلت : اتفعل هذا وانت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اذا القى فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بـــأس أن ينظر اليها » (هـ . طح . خم) وغيرهم (ص) .

وقد اختلف الفقهاء فى المقدار الذى يبـــاح النظر اليه فقيـــده بعض المذاهب بالنظر الى الوجه والكفين فقط . وهذا التقييد لا حجة لهم به . وفيه تعطيل لفهم الصحابة له . وقد جاء عن عمر بن الخطاب (ر) أنـــه خطب الى على (ر) ابنته أم كلثوم ، فذكر له صغرها ، فقال « ابعث بهااليك ، فـــان رضيت ، فهى امرأتك » فارسل بها اليه ، فكشف عن ساقيها ، فقالت : لولا انك أمير المؤمنين لصـــككت عينك !! رواه الحافظ فى التلخيص (ص ٢٩١ — ٢٩٢) (ص) وسنده صحيح .

ويحسن أن نذكر بهذه المناسبة صنيع نبى الله سليمان (ع) فى بنـــاء الصرح لينظر الى ساقى الملكة بلقيس وقد كان عزم على الزواج بها . فلمـــا رات هذا الصرح حسبته ماء فكشفت عن ساقيها فشاهدهما هـــــذا النبى الكريم ثم تزوج بها .

قال الامام ابن القيم فى : « تهذيب السنن » (٣ / ٢٥ — ٢٦) .

وقال : داود ينظر الى سائر جسدها ، وعن أحمد ثلاث روايـــات : احداهن ينظر الى وجهها ويديها ، والثانية : ينظر ما يظهر غالبا كالرقبـــة والساقين ونحوهما . والثالثة : ينظر اليها كلها : عورة وغيرها فانـــه نص على انه يجوز أن ينظر اليها متجردة !! .

وقال ابن قدامة فى (المغنى) (٧ / ٤٥٤) : « ووجه جواز النظر الى ما يظهر غالبا أن النبى (ص) لما اذن فى النظر اليها من غير علمها ، علم أنـــه اذن فى النظر الى جميع ما يظهر عادة ، اذ لا يمكن افراد الوجه بالنظر مع مشاركة غيره له فى الظهور ... » .

وكمـــا للرجـــل أن ينظر للمرأة فى دين الرجى،ل ينبغى للولى أن ينظر للمرأة فى دين الرجل واخلاقه واحواله ، لأنها تصير بالنكـــاح موقوفـــة ، وهى زوجها من فاسق أو مبتدع ، فقد جنى عليها وعلى نفسه ، (منهـــــاج القاصدين ص ٧١) .

(١) يشير هذان الحديثان الشريفان الصحيحان الى الحذر من العدوى ! وقد سنت أكثر الحكومات الحديثة القوانين فى وجوب الفحص الطبى قبـــل الزواج وكان السبق للاسلام فى هذا التوجيه . =

النهـــى عن المنافســـــة فى الخطبـــة (١)

الآيـــــات :

* **ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** (البقرة : ١٩٠) .
* **والذين يؤذون والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثمـا مبينا** (الاحزاب : ٥٨) .

الأحـــــاديث :

* لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك (ح . م)

= ويؤسفنى أن أقول ان هذا الاختبار الطبى أصبح يتساهل فيه أكثـــر الأطباء ، ويتهرب منه الزوجان مما قد يسبب لهما ولأولادهما نتائج ســـيئه . هذا ومن واجب كل من الزوجين الدينى عدم الاقبال على الزواج اذا كـــان مصابا بمرض سار . وقد جاء فى الحديث الصحيح : « لا يؤمن احـــدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » .

وقال الدكتور وجيه زين العابدين فى رسالته « الاســـلام والتربيـــة الجنسية » أنهم من هذه الاحاديث ومن حديث « لا ضرر ولا ضرار » انـــه لتحرى المرأة الصالحة ، ودفع الضرر عنها وعن الرجل يجوز بـــل يجب ان يكون فى النظام الاسلامى فحص الزوجين قبل الزواج ، خاصة لمعرفة الولـــود من النساء ، وكذلك لفحص الرجل من المرض المعدى ، ومن ناحية العنـــة أو العقم أو الجنون ...

وأما الرجل فأهم شرط فيما يخص سلامته الصحية هو استطاعتـــه الباءة لما ورد فى الحديث : (... من استطاع منكم البـــاءة فليتزوج ... الحديث) .

والباءة تعنى القدرة على تهيئة السكن وما يلزم للزواج ، وكذلـك تعنى القدرة الجنسية ... كما جاء فى المحيط للفيروز أبادى .

(١) قال البهى الخولى فى كتابه « المرأة بين البيت والمجتمع » :

« ولا يحل لذوى مروءة أن يذهب لخطبة امرأة يعلم ان سواه يخطبهـــا لنفسه ، فان ذلك يقطع الأواصر ويورث العداوات والشحناء ، الى انه حطـــة فى الخلق وفساد فى العقل . اذ أن من يغشى ميدان هذه المنافسة الوضعـــة لابد له أن يمدح نفسه ، ويذم غريمه .. فيسند الى نفسه من المزايا ما لـــو كان صادقا فيه لكفاه نقصا ان يمدح نفسه ... ويسند الى منافســـه من المثالب ما لو كان صادقا فيه لكفاه اثما انه مغتاب ... » .

كل ذلك اذا لم يترك الخاطب الخطبة اما اذا تركها فيحق للخاطب الآخر ان يتقدم للخطبة . =

الحب الدائـــم والزواج النـــاجح

الآيـــات :

* **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** (الحشر : ٩) .
* **ولا تمنن تستكثر (١)** (المدثر : ٦) .

الحديث :

* لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيـــه ما يحب لنفسه من الخـــير (٢) (حم . ت . ن .) والزيادة لغيرهم (ص) .

= كما يحق له أن يتقدم لهذه الخطبة اذا كان الخاطب الأول فاســـقا ، فمن حقه انقاذ الفتاة من وقوعها فى عصمة من لا دين له ! .

ويحق للمسلم أن يقترح من يراه أفضل اذا استشير .

جاء فى كتاب « جماع العلم » للامام الشافعى بتحقيق أحمد محمـــد شاكر :

قالت فاطمة بنت قيس : قال لى رســـول الله (ص) : اذا حللت فآذنينى — أى اعلمينى — فلما حلت من عدتها أخبرته ان معاوية وابا جهم خطباهـــا ، فقال النبى (ص) : « أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وما ابو جهم فلا يضـــع عصاه على عاتقه ، ولكن انكحى أسامة بن زيد » فكرهته ، فقـــال : انكحى اسامة ،فنكحته ، فجعل الله فيه خيرا ، واغتبطت به .

الاغتباط : الفرح بالنعمة — والحديث رواه الشافعى فى رســـالة الام ، وكذلك رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة الا البخارى .

(١) أى لا تعط شيئا من مالك لتعطى وتطلب أكثر منه .

(٢) قال أحدهم : هل تريد أن تعلم ان زواجك سيكون ناجحا ومســـتمرا وسعيدا ؟ .

اذا كنت تريد ذلك فاسأل نفسك هذه الأسئلة :

١ — هل تهتم باسعاد الشخص الذى تحبه ؟ هل تشعر برغبـــة فى مساعدته على عمل الأشياء التى يحبها ويهتم بعملها ؟ او انك تهتم أولا وقبـــل كل شىء بسعادتك الشخصية وتنتظر منه بصفة مستمرة ان يعمل دائمـــا على زيادة اسعادك ؟ وليس المفروض ان تتزوج الفتاة رجلا يرجى اصلاحـــه بعد الزواج ، أو تعتقد انها قادرة على تغيير بعض سمات شخصيته لمجـــرد انه يحبها .

٢ — هل تشعر بحماسة دائمة لحل خلافاتكما وقت حدوثها ؟ هل تشعر باهتمام وحرص على حياتكما الزوجية أكثر من حرصك على اثبات صحـــة وجهة نظرك فى كل خلاف يقوم بينكما ؟ .

هل انت مستعد للتنـــازل عن شىء من كبريائك اثنـــاء منازعـــاتكما فى سبيل الوصول الى التفاهم المنشود ؟ .

=

= هل ترى فى الخلافات التى تنشب بينكما احتمالات بناءة لدعم حياتكما الزوجية ؟ .

ان حبا هذه خصائصه يختلف عن الحب الذى يتجنب فيه الانسان حدوث اى مناقشة بأى ثمن ، أو يصر على صحة رأيه فى حمو ما ينشب بينهما من منازعات . ان الحب الناضج يركز على دعم الحياة الزوجية ، أكثر مما يركز على دعم شخصية أحد الزوجين باستمرار .

٣ ــ هل تفكر بمعنى « نحن » ؟ عندما تخطط للمستقبل فهل تخطط لمستقبلكما انتما الاثنين ؟ .

هل ناقشتما معا آمالكما ورغباتكما ؟ هل يشعر كل منكما أنه جزء من الآخر ؟ هل انتما شخصان قادران على الحب الناضج ؟.

٤ ــ هل تشعران انكما شريكان فى غاية مشتركة ؟ هل تجد ان فى هدفكما المشترك ما يشبع احلامكما ، وآمالكما المتبادلة ؟ .

هل تشعران ان حبكما قادر على انعاش واثارة اهتمامكما بالقيام بالاعمال التى كنتما تشعران بقيمتها ؟ .

وهل هناك امتداد وتطور واتساع فى تلك الاهتمامات ، نشأت عن الحب الذى تكنانه ؟ .

ليس بكاف أن تكونا رفيقين لطيفين ، بل لا بد لك ان تجعل لزواجك هدفا ومعنى ،ان اردت له الدوام . اذا كانت هى تلك الفتاة التى تحب أن تكون أما لأطفالك ، أو اذا كنت ترين فى فتاك هذا الرجل الذى تحبين أن يكون أبا لأبنائك ، اذن فان حبك لم يعد هدفا فى حد ذاته . بل طور نفسه الى اهداف أبعد منه ، ان الحب الدائم هو ذلك الحب الذى يهدى المحبين الى انجاز اعمالل اكبر بكثير مما عرفاه من قبل . وبسبب حبهما المتبادل يصبح كل منهما يرى فى صاحبه شخصا أفضل ، شخصا أسعد،شخصاأكثر ابداعا.

كيف تبقى حبك حيا ؟ .

ان مجرد نجاح الحب فى اجتياز هذه الاختبارات دون جهد واهتمام خاص ليس ضمانا لدوامه . ان الحب الثابت كالنبات الثابت ، يحتاج الى تغذية وعناية ليبقى صحيحا قويا .

ويختلف الناس حسبما نشأوا عليه ، فى رغبتهم فى التعبير عن حبهم . فبعضهم يهمه دائما أن يحصل على ادلة تؤكد له حب الشخص الآخر ، وعطفه، وحنانه ، وبعضهم الآخر يضايقه أى شىء أكثر من التقبل الواعى لدفء العلاقة التى تربطه بشريكه ، وعلى كل زوجين أن يختارا النموذج الذى يناسبهما أكثر من غيره .

ان تبادل الهدايا ، وتذكر المناسبات الخاصة ، ونظرة الانسان الى شريكة كشخص مرغوب فيه كثيرا ، والنظرات التى تنم عن الحب ، والتحية الحارة والوداع الحار ، والاشتراك معا فى عمل الاشياء التى يستمتع بها كل منهما والانصات بشغف واهتمام ، والتعبير عن عميق الاهتمام بأعمال الطرف الآخر ونشاطه ، كلها اساليب اساسية ، تؤدى الى الابقاء على حيوية الحب ، وعلى حب المحب .

الحـــذر من الـــزواج بالصـــغيرة (١)

الآيـــــة :

ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (البقرة : ٢٢٨) .

الأحـــــاديث :

* لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيـــه ما يحب لنفســـه ، من الخـــير (حم ت . ن . ه) وغيرهم والزيادة لغيرهم (ص) .

* لا ضرر ولا ضرار (حم . ه) (ص) .

---

(١) لعل أول ما يخطر بالبال فى هـــذا البحث زواج الرســـول (ص) بعائشـة (ر) مع الفارق الكبير بينهما فى السن . وهـــذه الحـــال لا تخرج عن القاعدة لاسباب اذكر منها :

أ ـــ شخصية الرسول (ص) التى لا يمكن مقارنتها بشخصية اخرى . لذلك كانت عائشـة سعيدة بهذا الزواج . وقد خيرت فيـــه ، فاختارت رسول الله (ص) .

ب ـــ الغاية السياسية من هذا الزواج لزيادة الروابط بين الرســـول (ص) وبين أبى بكر (ر) وقد كان من زعماء العرب ، ولتسهيل المصلحة بينه وبـــين صاحبه ، فقد كان أبو بكر يكثر الدخول عليه لصالح الدعوة الاسلامية .

جـ ـــ قوة دين عائشـة ، ومثلها جميع الصحابيات وعفتهن فـــلا يمكن أن يتصور وقوع محذور من هذا الزواج .

د ـــ قوة الرسول (ص) فقد أوتى قوة اربعين رجلا من الصحابة كمـــا جاء فى الحديث الصحيح .

هـ ـــ واننى أنصح الرجال والنساء على السواء بالحـــذر من وجـــود الفرق الكبير بين عمر يهما لما قد يؤدى ذلك الى محاذير ومساوىء كثيرة فى هذا الوقت الذى ضعف فيه الوازع الدينى .

قال الامام ابن الجوزى فى كتابه « صيد الخاطر » (٢/٤٤٦) :

... وابله البله الشيخ الذى يطلب صبية ... ولعمرى ان كمـــال المتعة انما يكون بالصبا كما قال القـــائل : (فقلت بنفسى النشء الصغـــار) ومتى لم تكن الصبية بالغة ، لم يكمل بها الاســـتمتاع ! فـــاذا بلغت أرادت كثرة الجماع ، والشيخ لا يقدر ! فان حمل على نفسه ، لم يبلغ مرادهـــا ، وهلك سريعا ! .

ولا ينبغى أن يغتر بشهوته الى الجماع ، فـــان شهوته كالفجر الكاذب ! وقد رأينا شخصا اشترى جارية ، فبات معها ، فانقلب عنها ميتا ! ...

وكان فى المارستان شاب بقى شهرين بالقيـــام (لعل هـــذا تحريف والصحيح بالمرض) فدخلت عليه زوجته فوطئها فانقلب عنهـــا ميتـــا ! =

الآيات :

* **وانكحوا الأيامى منكم (١) والصالحين من عبادكم وامائكم** (النور : ٣٢) .

الأحاديث :

* لانكاح الا بولى (حم . ت . د . هـ) وغيرهم واسناده حسن .
* ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، (حم . ت . هـ) (ح) .

= فبان أن النفس باقية بما عندها من الدم والمنى ، فاذا فرغا ولم تجد ماء تعتمد عليه ذهبت . .

وان قنع الشيخ بالاستمتاع من غير وطء ، فهى لا تقنع فتصير كالعدو له ، فربما غلبها الهوى ففجرت ! او احتالت على قتله . خصوصا الجوارى اللواتى اغلبهن قد جئن من بلاد الشرك ، ففيهن قسوة القلب .

وقبيح بمن عبر الستين ان يتعرض بكثرة النساء ، فان اتفق معه صاحبه دين قبل ذلك ، فليرع لها معاشرتها ، وليلتزم نقصه عندها تارة بالانفاق ، وتارة بحسن الخلق ، وليزد فى تعرفها احوال الصالحات والزاهدات ، وليكثر من ذكر القيامة ، وذم الدنيا ، وليعرض بذكر محبة العرب ، فانهم كانوا يعشقون ولا يرون وطء المعشوق كما قال قائلهم :

انما الحب قبلة وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا ان نكح الحب فسد

فان قدر أن يشغلها بحمل أو ولد عرقلها به . فاستبقى قوته فى مدة اشتغالها بذلك ! فان وطء فليصبر على الانزال حفظا لقوته ، وقضاء لحقها .

وقد قيل لبشر : لم لم تتزوج ؟! فقال : على ما أغر مسلمة ، وقد قال عز وجل : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) .

والمسكين من دخل فى أمر لم يتلمح عواقبه قبل الدخول ! ورأى حبه الفخ ، فبادر طالبا لها ناسبا تعرقل الجناح والذبح !! .

ومجموع ما قد بسطته حفظ البصر عن الاطلاق ويأس النفس عن التحصيل قنوعا بالحاصل خصوصا من علت سنه ، وعلم ان الصبية عدو له متمنية هلاكه ، وهو يربيها لغيره !! .

وفى بعض ما ذكرته ما يردع العاقل من التعرض لهذه الآفات .

نسأل الله عز وجل توفيقا من فضله وعملا بمقتضى الشرع والعقل ، انه قريب مجيب أ . هـ .

(١) استدل المفسرون ان الآية دليل على ان المرأة لا تنكح نفسها ، الا بولى ، فان الخطاب فى الاية للأولياء والسادة . ووجوب الولى واجب =

ليس المحـــابين (١) مثـــل للـــزواج

* عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال :

يا رسول الله فى حجرى يتيمة قـــد خطبها رجل موسر ورجل معدم ، فنحن نحب الموسر وهى تحب المعدم ! .

= فى نكاح القاصرة والبالغة على السواء .

ويحتج الحنفية على زواج البالغة بدون ولى بحديث « الثيب احـــق بنفسها من وليها » ولا حجه لهم فيه ، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى تفسيره : « بمعنى انه لا يزوجها حتى تأذن له بالنطق ، لانها احق منه بالعقد . وتأويل الحنفية لهذا الحديث ترده الاخبار الصحيحة المفيدة لاشتراط الولى !»

وكم كان لاهمال الولى فى النكاح من محاذير واخطـــار فى تسرع المراة بزواج نفسها ممن لا خلاق له فخدعها بمعسول الكلام لعدم خبرتهـــا . وسبب لها الشقاء وربما طلقها بعد قضاء حاجته منها فالحذر الحـــذر ايتهـــا المراة من الهلاك ! .

ومهما كان من وجوب موافقة ولى المراة على زواجها ، فقد قيده الاسلام فى حدود مصلحتها ، فاذا تعسف فى هذا الحق الذى اعطاه اياه الشـــارع فللمراة مراجعة القاضى بذلك ، فاذا ثبت لـــه رفضه لمجرد الهوى زوجهـــا بمن تشاء بعد التأكد من صلاحه .

وكم سمعنا بتعسف بعض الاولياء فى استخدام هذا الحق رغبـــة فى بقاء ابنته عنده لتخدمه او تخدم زوجته ـــ خالتها ـــ فما اجهلـــه واقصر نظره واضعف تفكيره ! .

(١) ليس المراد بالحب الشهوة العارمة والرغبة الجنسية العـــابرة . واللذة القوية فانه كاذب سرعان ما يزول . تاركا بعده اســـوا النتائـــج وافدح المآسى .

جاء فى كتاب « كيف تبنى حياتك الزوجية (ص ٢٤) » :

الحب الذى تصوره لنا القصص ما هو الا نسيج الاحلام . انه ينشـــأ عن الامال والتصورات . انه يجعل الانسان يرى فيمن يحب : صورة للرجـــل المثالى او المراة المثالية ، التى لا يمكن ان يحياها انسان فى عالم الواقـــع . والحقائق تقف حجر عثرة فى سبيله ، ومن أجل ذلك كان هذا الحب أعمـــى انك عندما تفكر فى الزواج ، عليك ان تميز بين ما هو خيـــالى فى الحب وما هو حقيقى .

ينمو الحب الحقيقى بين الزوجين على مر الايـــام ، وتدعمـــه العشرة والصحبة ، انه يحل تدريجيا محل الحب الخيالى ، كلمـــا ازدادت العشرة =

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« لم ير للمتحابين مثل النكاح » (١) !! .

= والصحبة .. وليس معنى ذلك انه لا يصح الزواج بين غير المتحابين ، فان الحب ــ غالبا ــ يتولد بعد الزواج نتيجة تبادل المودة وحسن التفاهم والمعاملة الطيبة ، وانكار الذات .

(١) اخرجه ابن ماجه والحاكم والبهقى والطبرانى وغيرهم .. وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . والحديث حسن بمجموع طرقه .

قالت هند بنت المهلب : ما رايت لصالحى النساء وشرارهن خيرا من الحاقهن بمن يسكن اليه من الرجال . ولرب مسكون اليه غير طائل والسكن على كل اوفق .

المفاضلة بين الزوج الشاب والكهل

ذكر الهيثم بن عدى : عن محمد بن زياد أن الحارث بن السليل الأزدى خرج زائرا العلقمة بن حزم الطائى ، وكان حليفا له ، فنظر الى ابنة له تدعى الرباب ، وكانت من أجمل النساء ، فأعجب بها وعشقها عشقا حال بينه وبين الانصراف الى اهله :

فقال لعلقمة : انى اتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ويمنع الراغب . قال له : كفؤ كريم ! فاقم ننظر فى أمرك . ثم انكفأ الى ام الجارية فقال لها :

ان الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته ، فشاورى ابنتك واديريها عما فى نفسها ...

فقالت لها :

اى بنيتى !

اى الرجال اعجب اليك ؟

الكهل الحجاج (السيد) ، المفضل المياح (الكثير الصلة والمعروف) ، ام الفتى الوضاح ! =

= فقالت : ان الفتى يغيرك (١) ، وان الشيخ يغيرك ، وليس الكهـــل الفاضل الكثير النائل (٢) كالحديث السن ، الكثير المن .

فقالت : يا اماه ! احب الفتى كحب الرعاء انيق الكلأ !

قالت : يا بنية ! ان الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب .

قالت : يا اماه ! اخشى من الشيخ أن يدنس ثيـابى ويبلى شـــبابى ويشمت بى اترابى ـــ صديقاتى ـــ فلم تزل امها حتى غلبتها على رايهـــا ، فتزوجها الحارث ثم ارتحل بها الى اهله .

وانه لجالس ذات يوم بفناء بيته ، وهى معه ، اذا أقبل شـــباب من بنى اسد يتلاعبون فتنفست الصعداء ، ثم بكت .

فقال : ما يبكيك ؟!

فقالت : مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ !

فقال : ثكلتك امك ـــ الحقى بأهلك فلا حاجة لى بك (روضـــة المحبين) (ص ٣٨٨) .

قال الامام ابن الجوزى فى كتابه « الاذكياء » ..

حدثنا رجل من تغلب قال :

كان فينا رجل له ابنة شابة ، وكان له ابن اخ يهواها وتهواه ، فمكثـــا كذلك دهرا . ثم أن الجارية خطبها الاشراف ، فارغب فى المهر ، فوافـــق ابو الجارية .

واجتمع القوم للخطبة فقالت الجارية لأمها :

يا اماه ما يمنع ابى أن يزوجنى من ابن عمى ؟! .

قالت : أمر كان مقضيا !

قالت : والله ما احسن ! رباه صغيرا ثم تركه كبيرا .. ثم قالت :

فارسلت الأم الى الأب فاخبرته الخبر .

فقال : اكتمى هذا الامر !

ثم خرج الى القوم فقال :

يا هؤلاء ! انى كنت اجبتكم ، وانه قد حدث امر رجوت أن يكون فيـــه الأجر . وانا اشهدكم انى قد زوجت ابنتى فلانه من ابن اخى فلان .

فلما انقضى ذلك ، قال ابوها ! ادخلوه عليها ، فقالت الجارية : هـــى بالرحمن كافرة ان دخل عليها من سنة او تبين حملها .

قال : فما دخل عليها الا بعد عام ، فعلم ابوها انها احتالت عليه !!

(١) يغيرك : الأولى يتزوج عليك وهى بضم (الياء) وفتح (الغين) مـــن الغيرة ويغيرك الثانية بفتح (الياء) وكسر (الغين) من الغيرة وهى المبرة .

(٢) النائل : المعطى .

الحب صـــــعب !

الآيـــــات :

* **ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** (البقرة : ٢٨٦) .

* **وخلق الانسان ضعيفا** (النساء : ٢٨) .

* **فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم** (يوسف : ٣١) .

الأحـــــاديث :

* عمرو بن العاص : بعثنى رسول الله (ص) على جيش وفيهم ابو بكـــر وعمر ، فلما رجعت قلت :

يا رسول الله ! من احب الناس اليك ؟
قال : وما تريد ؟
قلت احب ان اعلم .
قال : عائشة .
قلت انما اعنى من الرجال .
قال : ابوها (خ . م) بنحوه .

* قالت عائشة :

ارسل ازواج النبى (ص) فاطمة بنت النبى (ص) فدخلت ، وهو مضطجع معى فى مرطى ، فقالت :

يا رسول الله ان ازواجك يسالنك العدل فى ابنة ابى قحافـــــــة ، وانا ساكتة ، فقال رسول الله (ص) :
الست تحبين ما احب ؟!

قالت : بلى :

قال : فأحبى هذه (م . ن) .

* قالت عائشة : كان رسول الله (ص يقسم بين نسائه فيعدل ، ويقول: اللهم هذا قســـــمى فيما املك ، فلا تلمنى فيمـــــا لا املـــك (١) (ت . د . ن . هـ .) سند جيد .

(١) قال الامام ابن القيم فى زاد المعاد (١ / ٣٨) فى تفسيره : قيل هـــو الحب والجماع ، ولا يجب التسوية فى ذلك لانه مما لا يملك ! .

(أى الحب) (١) (د . ت . ن . ه . حب) .

* كان مغيث يمشى خلف زوجته بربرة بعد فراقها له ، وقد صارت اجنبية عنه ، ودموعه تسيل على خديه ، فقال النبى (ص) .

يا ابن عباس الا تعجب من حب مغيث بربرة . ومن بغضغ بربرة مغيثا ؟!

ثم قال لها : لو راجعته .

فقالت : اتامرنى (٢) ؟! .

فقالل : انما أنا شافع . قالت : لا حاجة لى فيه (٣) (خ) .

* شكا الى النبى (ص) رجل أن امراته لا ترد يد لامس ! فقال : طلقها ! .

قال انى أخاف أن تتبعها نفسى .

فقال : استمتع بها (٤) (حم . ن) (ج) .

---

(١) قال الامام ابن القيم فى تفسير هذا الحديث : يريد (ص) أن يطبق العدل بينهمن فى النفقة عليهن والقسمة بينهن . . واما التسوية بينهن فى المحبة فليست اليه ولا يملكها (روضة المحبين ص ١٧٢) .

(٢) جاء فى كتاب « حجة الله البالغة » (٢ / ٧١٤) وصف لقصة بربرة انهااعتقت ، وكان زوجها عبدا ، فخيرها رسول الله (ص) فاختارت نفسها . اقول : السبب فى ذلك أن كون الحرة فراشا للعبد عار عليها ، فوجب دفع ذلك العار عنها ، الا أن ترضى به . وانصافا لأمة تحت يد مولاها ليس رضاها — أى بالنكاح — رضا حقيقية . وانما النكاح بالتراضى . فلما (اعتقت) كان أمرها بيدها ، ووجب ملاحظة رضاها . .

قال الامام ابن القيم تعليقا على هذا الحديث : فهو شفاعة من سيد الشفعاء لمحب الى محبوبته ، وهى أفضل الشفاعات وأعظمها أجراً عند الله ! فانها تتضمن اجتماع محبوبين على ما يحب الله ورسله . فلهذا كان أحب ما لابليس وجنوده التفريق بين هذين المحبوبين » .

(٣) قال الامام ابن القيم تعليقا على الحديث السابق : ولم ينهه الرسول (ص) عن عشقها فى هذه الحال ، اذ ذلك شىء لا يملك .

(٤) جاء فى كتاب « روضة المحبين » للامام ابن القيم :

قال بعض أهل العلم راعى النبى (ص) دفع احدى المفسدتين باذناهما ، فانه لما شكا اليه انه لا يصبر عنها ، ولعل حبه يدعوه الى معصية ، أمره ان يمسكها مداواة لقلبه ودفعا للمفسدة التى يخافها باحتمال المفسدة التى شكا منها .

الرحمة بالمحبين والشفاعة(١) لهم

الآيات :

• (ومن يَشفَع شَفاعة حَسنة يكن له نصيبٌ منها . ومن يشفعْ شفاعة سيئة يكنْ له كِفلٌ منها (النساء : ٨٤) .

= وقد فسر بعضهم هذا الحديث بصور كثيرة ، وأصحها ماذكره الامام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى كتابه السابق فقد قال :

إن الرجل لم يشك من المرأة أنها تزنى بكل ماأراد ذلك ، ولو سأل عن ذلك ، لما أقره رسول الله (ص) على أن يقيم مع بغى ، ويكون زوج بغى ديوثاً ! وإنما شكا إليه أنها لاتجذب نفسها ممن لاعبها ووضع يده عليها ، أو جذب ثوبها ، ونحو ذلك ، فإن من النساء من تلين عند الحديث واللعب ونحوه ، وهى حصان عفيفة إذا أريد منها الزنى ! وهذا كان عادة كثير من نساء العرب ، ولايعدون ذلك عيباً (ص ١٣٠) .

وبمناسبة الكلام عن الحب ، فإنه كثيراً ماينقلب إلى عشق جامح - والعياذ بالله - فيشقى صاحبه أو صاحبته ويوقعه فى المهالك والأمراض ، فينبغى للعاقل الفرار من أسبابه ، وقد نهى الاسلام عنها جميعاً وهذه بعضها :

١ - إدمان النظر ..

٢ - الاختلاط والاجتماع .

قال الامام ابن الجوزى فى كتابه (ذم الهوى) :

« ويتأكد العشق بإدمان النظر ، وكثرة اللقاء ، وطول الحديث ، فإن انضم إلى ذلك معانقة ، أو تقبيل فقد تم استحكامه !! » .

٣ - ومن أسباب العشق سماع الغزل والغناء ، فإن ذلك يصور فى النفوس نقوش صور ، فتخمر صورة موصوفة ، ثم يصادف النظر مستحسنا ، فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف » .

إن العشق يفسد عقل الرجل ودينه ، وقد يظلم الرجل بسببه أبويه وأولاده من زوجته العتيقة أو المتوفاه من أجل زوجته الجديدة ، وقد يحرمهم من ميراثهم ، ويبدد أموالهم لارضائها ! مما قد يسبب نقمتهم وتشردهم !

---

(١) هده الشفاعة ينبغى أن تقتصر فيما إذا كان الطرفان صالحين

• وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان (المائدة : ٣) .

الأحاديث :

★ اشفعوا تؤجروا ويقضى اللهُ على لسانِ رسولهِ ما أحبَّ (خ . د . ت . ن) .

★ راجع قصة بربرة فى البحث السابق .

★ زوج رجل على عهد رسول الله (ص) ابنة له ، وكان خطبها قبل ذلك عم بنتها فبلغ النبى (ص) أنها كارهة هذا الذى زوجها أبوها ، وانه كان يعجبها أن يزوجها عم بنتها ، فأهدر (ص) نكاح أبيها وزوجها عم بنتها (خ . ن . هـ) بألفاظ أخرى .

★ مر أبو بكر الصديق (ر) فى خلافته بطريق من طرق المدينة ، فإذا جارية تطحن برحاها وتقول :

وهويته من قبل قطع تمائمى متمالسا مثل القضيب الناعم
وكان نور البدر سنة وجهه ينمى ويصعد فى ذؤابة هاشم

فدق عليها الباب فخرجت إليه فقال : ويلك أحرة أنت أم مملوكة ؟ !
فقالت : بل مملوكة يا خليفة رسول الله . قال : فمن هويت ؟ ! فبكت ثم قالت : بحق الله عليك ألا انصرفت عنى قال : لاأريم أو تعلمينى .
فقالت :

وأنا التى لَعِبَ الغرام بقلبها فبكتْ لحب محمد بنِ القاسم

فصار أبو بكر إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه ، وبعث إلى

أما إذا كانا غير ذلك او كان أحدهما فاسقا فلا تنبغى تلك الشفاعة ، ويجب تحذير الطرف الصالح من محبة الضال ! مع تنبيهه إلى وجوب اختيار شريك حياته عن تفكير متزن وبحث عميق ، لا عن هوى وحب أهوج تنسجه الأحلام ، وهو صائر إلى افتراق أو الى مآس لاتحمد عقباها !

وما اصدق ما قاله ابقلين مليس دو قال فى كتابها : « كيف تبنى حياتك

محمد بن القاسم بن أبى طالب وقال : هؤلاء فِتيَنُ الرجال . وكم مات بهن من كريم ، وعطب عليهن من سليم !

★ جاءت عثمان بن عفان جارية تستعدي على رجل من الأنصار فقال لها عثمان : ماقصتُك ؟ فقالت ياأمير المؤمنين كلفت بابنِ أخيه ، فما أنفك أراعيه .

فقال له عثمان : إما أن تهبها لابن أخيك أو أعطيك ثمنها من مالى .

فقال أشهدك ياأمير المؤمنين أنها له .

★ أتى على بن أبى طالب (ر) بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل ، فقال له :

ماقصتك ؟ فقال : لست بسارق ، ولكنى أصدقك :

تعلقت فى دار الرياحى خوذة ... يَدل لها من حسنها الشمس والقمرُ
لها من نبات الروح حُسنٌ ومنصب ... إذا افتخرتْ بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقتُ الدار من حب مهجة ... أتيتُ وفيها من توقدها جمرُ
تبادر أهل الدار لى صيّحوا ... هو اللص محتوم له القتل والأسرُ

فلما سمع علىّ شعره رقّ له وقال للمهلب بن رباح : اسمح له بها ونعوضك منها . فقال : ياأمير المؤمنين سَلْه من هو لنعرف نسبه ؟ فقال : النهاس بن عيينة العجلى . فقال : خذها فهى لك .

★ اشترى معاوية بن أبى سفيان جارية من البحرين فأعجب بها اعجابا شديدا ، فسمعها يوماً تنشد أبياتا منها :

وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى ... طريدا وسيما بعدما طر شاربه

فسألها معاوية . فقالت : هو ابن عمى . فردها إليه ، وفى قلبه منها[1] !

= الزوجية » ص ٢٤ .

« إن الحب ليس كل شى . فهناك عوامل كثيرة لكل منها شأن وأثر هامان لنجاح الحياة الزوجية . والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب مخاطرة اجتماعية وشخصية » .

(١) خرج المهدى إلى الحج حتى إذا كان فى سفر جلس يتغدّى فأتى =

وجوب استئذان الفتاة قبل الزواج

الأحاديث :

★ قال النبى (ص) : لاتُنكح الأيم حتى تُستأمر ، ولاتُنكح البكر حتى تُستأذن ، قالوا : يا رسول الله ! وكيف إذنُها ؟

= بدوى فناداه : ياأمير المؤمنين ، إنى عاشق ! ورفع صوته . فقال للحاجب : ويحك ماهذا ؟ ! قال : إنسان يصيح إنى عاشق ! قال : أدخلوه . فأدخلوه عليه فقال : من عشيقتك ؟ قال ابنة عمى . قال أولها أب ؟ قال : نعم قال : فما له لايزوجك إياها ؟ ! قال : ها هنا شئ ياأمير المؤمنين . قال : ماهو ؟ قال : إنى هجين . (والهجين الذى أمه أمَة ليست عربية) . قال له المهدى : فمايكون ؟ قال : إنه عندنا عيب . فأرسل المهدى فى طلب أبيها ، فأتى به ، فقال : هذا ابن أخيك ؟ قال نعم . قال : فلم لاتزوجه كريمتك ؟ فقال له مثل مقالة ابن أخيه . وكان من ولد العباس عنده جماعة ، فقال : هؤلاء كلهم بنو العباس ، وهم هجن ماالذى يضرهم من ذلك ؟ قال : هو عندنا عيب . فقال المهدى زوجه إياها على عشرين ألف درهم ، عشرة آلاف للعيب ، وعشرة آلاف مهرها . قال : نعم . فحمد الله وأثنى عليه وزوجه إياها ، فأتى ببدرتين فدفعهما إليه ، فأنشأ الشاب يقول :

ابتعت ظبية بالغلاء وإنما ـ يعطى الغلاء بمثلها أمثالى
وتركت أسواق الصباح لأهلها ـ إن الصباح وإن رخُصن غوالى

(روضة المحبين ص ٣٧٥ - ٣٨٢) بتصرف واختصار .

وقد روى الامام ابن حزم قصة غريبة فى الشفاعة التى نحن بصدد الكلام عليها فقال :

باع رجل أندلسى جارية ، وكان يحبها كثيرا ، لفقر أصابه ، من رجل من أهل ذلك البلد ، ولم يظن بائعها أن نفسه تتبعها بعد البيع ، فلما حصلت عند المشترى كادت نفس الاندلسى تخرج . فأتى الذى ابتاعها منه وحكمه فى ماله أجمع فأبى عليه ، فوسط أهل البلد فلم يفلح فشكى أمره إلى الملك ، فلما مثل بين يديه أخبره بقصته واسترحمه وتضرع اليه ، فرق له الملك فأمرنا باحضار الشارى فحضر فقال له الملك :

هذا رجل غريب ، وهو كما تراه ، وأنا شفيعه إليك ، فأبى هذا الشارى وقال : أنا أشد حبا لها منه . فاعتذر الملك من الأندلسى . فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه من أعلى العلية إلى الأرض ، فارتاع الملك وصرخ فابتدر الغلمان من الداخل فأنقذوه وأعادوه إلى الملك ، فهم أن يرمى بنفسه ثانية فمُنع . فالتفت الملك إلى المشترى وقال له : إن صاحبك هذا أبدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت . فأنت قم فأثبت حبك وترام من أعلى هذه العلية كما فعل صاحبك ، فإن مت فبأجلك ، وإن عشت كنت أولى بالجارية ، فتردى الشارى وقبل اعادتها فاشتراها منه الملك ودفعها إلى بائعها العاشق .

(روضة المحبين بتصرف واختصار ص ٣٧٥ - ٣٨٢) .

قالَ أن تسكت (خ . م) .

وعن خنساء بنت خُذام : أن أباها زَوّجها بدون إذنها - وهى ثيِّب - فأتت رسول الله (ص) فردَّ نكاحها[1] (الجماعة إلا مسلم) .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

جاءت فتاة إلى رسول الله (ص) فقالت :

إن أبى زوَّجني ابنَ أخيه ، ليرفع به خسيستَه ، فجعل الأمر[1] إليها فقالت : قد أجزتُ أبى ، ولكن أردتُ أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شئ[2] ! (ق) ورجاله رجال الصحيح .

---

(١) كم أغفل الآباء الأمر النبوى فى وجوب استئذان الفتاة قبل الزواج ، فكان له نتائج سيئة وعواقب مدمرة ، والأمثلة على ذلك كثيرة لاتخفى على أحد . ونذكر على سبيل الطرافة والعبرة قصة هند لما تزوجت الحجاج بن يوسف الثقفى أحد ولاة الخليفة عبد الملك بن مروان ، فوقفت يوما تتأمل حسنها أمام المرآة وأنشدت تقول :

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغلُ !

فإن ولدت مهراً فلله درها ... وإن ولدت بغلاً فجاء به بغلُ

وكان الحجاج عندئذ اتيا من وراء حجاب ، وصك أذنيه ماسمعه من هند ، فقال غاضبا :

« يا هند ! لقد كنت فبنت ! » وطلقها .

وسرعان ما أجابته :

« لقد كنا فما فرحنا ، وبنا فما ندمنا ! »

ويصل الأمر إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، فيعجب من فصاحة هند ، وخطبها إلى نفسه . وتقبل هند ، إلا أنها تشترط أن يقود الحجاج هودجها من بيتها إلى قصر الخليفة . ويقبل عبد الملك ، ويسير الحجاج بالهودج ومن فوقه هند التى ما كاد الطريق ينتصف حتى تلقى أمام الحجاج بدينار من ذهب ثم تصيح :

« يا جمال ! لقد سقط منى درهم » .

فتناوله الحجاج من الأرض قائلاً : « إنه ليس درهما ، ولكنه دينار ! »

فتجيبه هند فى تشف : « الحمد لله الذى أبدل بدرهمى دينارا ! » .

ويبتلع الحجاج على مضض منه تلك الاجابة القاتلة .. إنها زوجة أمير المؤمنين !

(٢) إذا كان الاسلام أعطى المرأة حق الحرية فى انتخاب رجلها ليقوم الزواج على أساس الحب ، فإنا ننصح الفتاة أن تحسن استخدام هذا الحق فلا تستسلم للعواطف الهوجاء ولاتغتر بجمال الزوج وحده ، فإن الجمال =

عضـل المـرأة

الآية :

• **فلا تعضلوهنَّ(١) أن ينكحْن أزواجهن إذا تراضَوا بينهم بالمعروف ذلك يُوعَظُ بهِ منْ كانَ مِنكم يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر ذلِكمْ أذكى لكمْ وأطهرُ واللهُ يعلم وأنتم لاتعلمون (البقرة : ٢٣٢) .**

الحديث :

★ **قال معقل بن يسار : كانت لى أخت تخطبُ إلىّ ، فأتانى ابنُ عمٍّ لى فانكحتُها إياهُ ، ثم طلقها طلاقاً له رجعةٌ ثم تركها حتى انقضتْ عدتها ، فلما خطبت إلى أتانى يخطبها فقلت : لا والله لا أنكحها أبداً(٢) .**

قال : ففىّ نزلت هذه الآية : (وإذا طلقتم النساء ...) (خ . د . ت)

ـ كما يقولون ـ عارية مستردة ، قد تزول . بل هى زائلة مع الزمن ، فعليها أن تختار الزوج الصالح المتحلى بالأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة والمعاشرة السليمة وحب الجد والعمل . فهى مزايا ثابتة مع الدهر تنشئ الحب وتولده مع الأيام وتكون السعادة المستمرة . ولله در القائل :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسى !!

يحكى أن اعرابية تقدم لخطبتها شاب فأعجبها جماله ، ولم تفكر بأخلاقه وسلوكه ، فنصحها والدها بعدم صلاحه ، فلم ترض ، فأكد عليها ، عدم قبوله ، فرفضت ، وأخيرا تزوجته .

وبعد شهر من زواجها زارها أبوها فى دارها ، فوجد جسمها عليه علامات الضرب من زوجها فتغافل عنه وسألها :

كيف حالك يا بنيتى ؟ !

فظاهرت بالرضا ، فقال لها أبوها وماعلامات الضرب فى جسمك ؟ ! فبكت ونحبت طويلا ثم قالت :

ماذا أقول لك ياأبتاه ؟

اننى عصيتك واخترته ، دون أن أفكر بأهمية الأخلاق وحسن المعاملة .

(١) العضل : منع المرأة من التزويج ممن يخطبها وترغب فيه وهو حرام وقد نهى الله تعالى عنه كما فى الآية .

(٢) راعته الشريعة الاسلامية ظروف المرأة واحترمت رغبتها وقدرت ارادتها ومشيئتها فحرمت على الولى ان يؤخر زواجها اذا واتتها الفرصة وحانت لها الظروف

عرض الرجل ابنته على الصالحين

الآيات :

● **ولما ورد ـ أى موسى ـ ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان . قال ماخطبكما ؟**

قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال : رب . إنى لما أنزلت إلىَّ من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت : إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا . فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين . قالت احداهما : ياأبت استأجره ، إن خير من استأجرت القوى الأمين . قال : إنى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين ، على أن تأجرنى ثمانى حجج ، فإن أتممت عشراً فمن عندك ومأأريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين . قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علىَّ ، والله على مانقول وكيل[1] (القصص : ١٧) .

ـ الملائمة ، بأن خطبها من تحب أن تقترن به ومن ترغب أن تعيش معه . فحرمانها من النكاح شر ينبغى التحرز منه . ذلك لأنها ذات غريزة جنسية لابد لها من منفذ تنفذ منه ، والكبت يؤثر على صحتها ويسئ إلى عاطفتها ويضر عقلها وأعصابها ، ولاينجى من هذه الأخطار والأضرار إلا أن نسمح لها بالزواج ، ونيسر لها سبيل النكاح ، وهنا يجب أن نراعى رغبتها ونحترم مشيئتها فلانزوجها إلا بمن تحب ولاننكحها إلا لمن تميل إليه ، وماقيمة الحياة الزوجية إذا قامت من عنصرين لاإلفة بينهما ؟ إنها تكون حينئذ باباً من أبواب الشر . ووسيلة من وسائل القلق ، ومبعثاً على السخط والهوان . فالزواج المفروض فيه أن يكون سكناً ورحمة ومودة ينقلب فيصبح نفوراً وقسوة وفتنة ، لاتجد المرأة فرصة للتخلص من زوجها الذى تبغضه حتى تنتهزها وتستغلها حلالاً كانت أم حراماً ، وهكذا تبحث وتعمل جاهدة على مايوصلها إلى غرضها ويهئ لها سبيل الفراق ، ولانجنى ولايجنى الزوجان من وراء هذه الرابطة المنحلة سوى الشر وسوء العاقبة والاساءة إلى شعور المرأة وسمعتها وتضيع الفرصة الصالحة عليها مما يولد عندها عقدة نفسية تؤثر عليها طول حياتها .

(١) وهكذا عرض هذا الرجل العظيم شعيب ـ وهو نبى من أنبياء الله ، وليس بالفقير أو العادى ـ ابنته على موسى عليهما الصلاة والسلام ، وتم النكاح فى جو بسيط ، ـ

الحديث :

★ قال عمر بن الخطاب (ر) وقد مات زوج ابنته حفصة :
لقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقلت :
إن شئت انكحك حفصة بنت عمر !
فقال : سأنظر فى أمرى .
فلبث ليالى ثم لقيته ، فعرضت ذلك عليه ، فقال :
قد بدا لى أن لاأتزوج .
فلقيت أبا بكر ، فقلت له :

- فلا تقاليد موروثة بالية ، ولاتكاليف باهظة معرقلة . كل ذلك ضرب به هذا الأب الكريم عرض الحائط وسارع إلى زواج موسى من ابنته لما علم بأمانته وعفته وشهامته وقوته ... على الرغم من فقره المادى .

وزواج الرسول (ص) واصحابه كلهم كان يتم بسهولة ويسر ، فما هذه التقاليد التى تمسكنا بها إلا طقوس فرعونية جهنمية لهدم الأسرة وعرقلة زواج الشباب وقطع النسل ، فمتى نصحو من هذه التقاليد الجاهلية ؟ !

أذكر أننى لما عقدت زواج ابنتى على أحد الصالحين اكتفيت بكتابة المهر عليه دون قبض إلا قليل منه حسب ماتيسر . وكان أول شرط وآخر شرط من شروطى ألا يقدم لابنتى شيئاً من الحلى وسواها !

وبمناسبة الكلام على خطبة المرأة للرجل أقول ماكنت قلته منذ عشرين عاماً تقريباً فى كتابى « السبيل إلى أسرة أفضل » :
« .. وإنى لأتمنى ذلك اليوم الذى يسمح الأب لابنته أن تخطب الفتى الذى تريده وتقول - كما يقول الفتى - « اذهب ياأبتاه أخطب لى الشاب الفلانى ، فيذهب ويفاوضه » .

وكل ذلك يسمح به الاسلام ويدعو إليه كما سنرى فى البحث التالى !
وبمناسبة عرض الرجل ابنته على أهل الصلاح نذكر القصة التالية الرائعة التى ذكرتها كتب التاريخ :

عن عبد الله بن أبى وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياماً ، فلما أتيته قال : أين كنت ؟ ! قلت : توفيت أهلى فاشتغلت بها . قال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ ! قال : ثم أردت أن أقوم ، فقال : هل استحدثت امرأة؟ فقلت يرحمك الله تعالى ! ومن يزوجنى ومامعى إلا درهمين أو ثلاثاً ! -

إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر(١) فصمت ولم يرجع إلى شيئاً ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله (ص) فأنكحتها إليه . فلقيني أبو بكر فقال :

لعلك وجدت علىَّ حين عرضت على حفصة ، فلم ارجع إليك شيئاً ؟ فقلت : نعم . فقال : انه لم يمنعنى أن أرجع اليك ، فيما عرضت علىَّ إلا أنى كنت علمت رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو تركها لقبلتها (خ ن) .

- فقال : أنا . فقلت : وتفعل ؟ ! قال : نعم . فحمد الله تعالى وصلى على النبى (ص) وزوجنى على درهمين أو قال ـ ثلاثة ـ قال : فقمت وما أدرى ماأصنع من الفرح ، فعدت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ ، ممن أستدين ، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى ، فأسرجت وكنت صائماً ، فقدمت عشائى لأفطر ـ وكان خبزاً وزيتاً ـ وإذا بابى يقرع فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد . قال : ففكرت فى إسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب ـ وذلك أنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد ـ فخرجت إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب ، فظننت أنه بدا له (أى رجع عن رأيه) فقلت : ياأبا محمد لو أرسلت إلىَّ لأتيتك ! فقال : لا ! أنت أحق أن تؤتى . فقلت : ماذا تأمر . قال : إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك وإذا هى قائمة خلفه فى طوله ، فدفعها فى الباب ورده !

قال : ثم دخلت بها ، فإذا هى من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله (ص) وأعرفهم بحق الزوج !

وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه خطبها منه (الخليفة) عبد الملك ابن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه !!

هذا ـ وليس المقصود من القول السابق أن سعيد بن المسيب كان يقصر حياته على الصلاة فى المسجد فقط ، فهذا ليس من صنع العلماء العاملين ، بل كان يعمل فى المسجد على تعليم المسلمين .

ولم تقتصر عادة عرض الرجل بناته على الناس على السلف الصالح فقط بل لاتزال ديدن كثير من الصالحين فى جميع العصور ، فقد حدثنى أحد الأصدقاء أن إماماً لمسجد فى حى الميدان بدمشق خطب فى المسلمين يوماً يحض الشباب على الزواج ويحض الآباء على تيسير المهر ، وكان مما قاله :

إن عندى عدة بنات ، فمن كان يرغب فى الزواج ، فإنى على استعداد لأعطيه وليس لى من شرط إلا شرط الدين والأخلاق ، ولم يمض أكثر من شهر حتى تزوجت بناته كلهن !

(١) ماأعظم صنيع عمر وما أوعاه ، وإلى هذا ذهب المثل العربى : -

الرسول يخطب زوجة له مباشرة

عن أم سلمة قالت :

... لما انقضت عدتى استأذن علىَّ رسول الله (ص) وأنا أدبغ إهاباً لى ، فغسلت يدى من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبنى إلى نفسى .

فلما فرغ من مقالته قلت :

يارسول الله ، مابى أن لايكون بك الرغبة ، ولكنى امرأة فى غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى منى شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت فى السن ، وأنا ذات عيال .

فقال :

أما ذكرت من الغيرة ، فسوف يذهبها الله عز وجل عنك .

وأما ذكرت من السن ، فقد أصابنى مثل الذى أصابك .

وأما ذكرت من العيال ، فإنما عيالك عيالى .

قالت : فقد سلمت لرسول الله (ص) فتزوجها رسول[1] الله (ص)

الحديث رواه أحمد وسنده صحيح .

= « تخير لابنتك واخطب لها ، ولاتتخير لولدك أو تخطب له ! » ولاشك أن القسم الثانى من هذا المثل غير صحيح !

(١) قال الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » بعدما تحدث عن موت أبو سلمة متأثراً بجراح غزوة أحد وكيف ظل النبى (ص) إلى جانبه يدعو له بخير حتى مات فأسبل عينيه ...

« وبعد أربعة أشهر (وعشرة أيام) من وفاته خطب محمد (ص) أم سلمة إلى نفسها ، فاعتذرت بكثرة العيال ، وبأنها تخطت الشباب ، فما زال بها حتى تزوج منها وحتى أخذ نفسه بالعناية بتنشئة أبنائها . أبعد هذا يزعم المبشرون والمستشرقون أن أم سلمة كانت ذات جمال هو الذى دعا محمداً إلى التزوج منها ! إن يكن ذلك ، فقد كانت غيرها من بنات المهاجرين والأنصار من تفوقها جمالاً وشباباً وثروة ونضرة ومن لايبهظه عبء عيالها ، لكنه إنما تزوج بها لهذا الاعتبار السامى الذى دعاه ليتزوج زينب بنت خزيمة ، تخطت الشباب ولم تكن ذات جمال وقد استشهد زوجها يوم =

المرأة تخطب الرجل

الآية :

• وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسهاللنبى إن أراد النبى أن يستنكحها ، خالصة لك من دون المؤمنين[1] (الأحزاب : ٥٠) .

الأحاديث :

★ جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت :

يا رسول الله ! إنى وهبت نفسى لك ، فنظر إليها رسول الله (ص) فصعَّد النظر إليها وصوَّبه ، ثم طأطأ رأسه[2] ! .

فقامت طويلاً ، فقام رجل فقال : يارسول الله ! زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة[3] الحديث (خ . م) .

★ سمعت ميسونة بنت الحارث خطبة النبى (ص) وهى على بعيرها عام عمرة القضاء فقالت : ـ صائحة ـ :

« البعير وماعليه لله ولرسوله[4] ! » .

= بدر » . والذى زاد المسلمين به تعلقاً وجعلهم يرون فيه نبى الله ورسوله ، ويرون فيه إلى جانب ذلك أباً لهم جميعاً : أباً لكل مسكين ومحروم وضعيف وبائس وعاجز ، أباً لكل من فقد أباه شهيداً فى سبيل الله (ص ٣١٢ - ٣١٣) .

(١) قال الامام ابن كثير : قوله تعالى : (خالصة لك من دون المؤمنين) يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولى ولامهر ولاشهود .

(٢) جاء فى تفسير ابن كثير قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتاً يقول : كنت مع أنس جالساً ، وعنده ابنة له فقال أنس : جاءت امرأة إلى النبى فقالت : يانبى الله هل لك فىّ حاجة ، فقالت : ابنته ما كان أقل حياءها فقال : « هى خير منك رغبت فى النبى (ص) فعرضت عليه نفسها » انفرد به البخارى .

أقول : وليس معنى هذا أنه لايجوز للمرأة أن تعرض نفسها للرجل من أجل الزواج إنما لايجوز أن تهب نفسها له أو تتزوجه بدون مهر وولى وشاهدين !

(٣) راجع تفصيل الحديث فى بحث النهى عن المغالاة فى المهور .

(٤) وقد كتب الدكتور نظمى لوقا معلقاً على هذا الحادث ليثبت للملأ أن زواج الرسول (ص) بميسونة وغيرها لم يكن زواج شهوة كما يدعى بعض خصوم الاسلام ، وخاصة من المستشرقين .

فأنزل الله تعالى وتبارك : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى[1] (سيرة ابن هشام) .

النهى عن التغالى بالمهور

الأحاديث :

★ جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت :
يا رسول الله ! إنى وهبت نفسى لك ؛ فقامت طويلا ، فقام رجل فقال : يا رسول الله . زوجنيها إن لم تكن لك فيها حاجة فقال : هل عندك شئ تصدقها ؟ قال : ماعندى إلا إزارى هذا !
قال : فالتمس ولو خاتماً من حديد[2] ، فالتمس فلم يجد شيئاً فقال رسول

- وننتهى إلى ميسونة بنت الحارث ، آخر نساء محمد ..
كان العام عام عمرة القضاء ، وقد دخل المسلمون مكة مسالمين بعد صلح الحديبية ليؤدوا فريضة الحج (بل العمرة) لأول مرة منذ الهجرة إلى المدينة ، وخلت مكة بمقتضى ذلك الصلح من أهلها المشركين .
وكان ذلك .. أكبر مظهر سلمى رائع استعرض فيه المسلمون قوتهم وكثرتهم ، وبدأ فيه فجر النصر الكامل قريباً ..
واهتزت شعاب مكة وبيوتها بهتاف المسلمين وتلبيتهم كالرعد القاصف .
وإذا عقيلة من عقيلة العرب المعدودات ، شقيقة زوجة العباس عم محمد (ص) وشقيقة زوجة حمزة ابن عم محمد ، ترى ذلك المنظر الباهر ، فتهزها الحماسة والاريحية ، وتصيح وهى تشهد ذلك اليوم على بعيرها :
- البعير وماعليه لله ورسوله ! ...
وما كان له أن يردها فيكون ذلك خذلاناً لها لمن جادت له بنفسها تحت وطأة الحماسة لدخوله معقل الشرك وطوافه ببيت اسماعيل ..

(١) جاء فى تفسير الامام ابن كثير أن اللاتى وهبن أنفسهن للنبى (ص) كثير كما قال البخارى - رحمه الله - وقد أسنده - عن عائشة قالت : كنت أغار من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى (ص) وأقول أتهب المرأة نفسها ... الحديث .

(٢) ليس معنى هذا الحديث جواز لبس خاتم الحديد حتى للنساء ، بل للانتفاع بقيمته لما ورد من النهى عن لبسه ، فقد رأى النبى (ص) على بعض أصحابه خاتماً من ذهب فأعرض عنه فألقاه واتخذ خاتماً من حديد . فقال : هذا شر . هذا حلية أهل النار ، فألقاه واتخذ خاتماً من ورق (فضة) (حم) وسنده صحيح .

له (ص) : هل معك من القرآن شئ ؟ قال : نعم سورة كذا وسورة كذا
قال : زوجتكها بما معك من القرآن .

وفى رواية قال :
انطلق فقد زوجتكها ؛ فعلمها القرآن (خ . م) .

وفى رواية أخرى طريفة بعدما طلب منه رسول الله (ص) خاتماً من حديد ولم يجد ، قال لرسول الله (ص) ولكن هذا إزارى ، فلها نصفه . فقال رسول الله (ص) ماتصنع بإزارك ؟ إن ألبسته لم يكن عليها وإن لبسته لم يكن عليك منه شئ .

فجلس الرجل حتى طال مجلسه . ثم قام ، فرآه رسول الله (ص) مولياً ، فأمر به ، فدعى ، فلما جاء قال : مامعك من القرآن ؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا ... الحديث رواه الخمسة .

★ عن أبى سلمة قال :
سألت عائشة : كم كان صداق النبى صلى الله عليه وآله وسلم .
قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتى عشرة أوقية ونشاً .
قالت : أتدرى ما النَّش ؟
قلت : لا .
قالت : نصف أوقية ، فقلت خمسمئة درهم[1] (م) .

★ عن ابن عباس (ر) قال :
لما تزوج علىٌّ فاطمة رضى الله عنهما قال رسول الله (ص) أعطها شيئاً ! قال : ماعندى شئ !

---

(١) والأوقية أربعين درهماً . فيكون المهر خمسمئة درهم ، والدرهم يساوى أربعين قرشاً سورياً فيكون مجموع المهر مئتى ليرة سورية !!

قال : أين درعك الخطمية فاعطها إياه[1] (ن . ر . حا) (ص) .

★ عن عمر بن الخطاب قال :

ألا لاتغالوا[2] بصداق النساء !! فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله ، لكان أولاكم بها نبى الله (ص) !

ماعلمت رسول الله (ص) نكح شيئاً من نسائه ولاأنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية (حم . ت . ن) (ص) .

★ وتزوجت امرأة من بنى فزارة على نعلين !! فقال رسول الله (ص) أرضيت من نفسك ومالك بنعلين ؟ ! .

قالت : نعم .

فأجازه ! (ت وصححه) .

★ قال على بن أبى طالب (ر) :

جهز رسول الله (ص) فاطمة (ر) خميلا ووسادة حشوها أذخر . أى قش . .

وعن جابر (ر) قال :

حضرنا عرس فاطمة ، فما رأينا عرساً أحسن منه ، حشونا الفراش

---

(١) وهكذا كان مهر بنت رسول الله (ص) التى لاتقدر بثمن ، لقد زوجها أبوها بهذا الدرع الذى لاتستفيد منه شيئاً ، إنما هو رمز لاأكثر ولاأقل !

ماأعظم الفرق بين يسر الاسلام فى الزواج والعرس وبين تقاليدنا الجاهلية فى هذا العصر حتى بات الزواج يسبب للزوج النكبات وماأحسن ماقاله الشاعر :

ثلاثة تشقى بهن الدار العرس والمأتم ثم الزار

والزار حفلة يقيمها الدجالون باستخدام الطبول لاخراج الجن من المصروع !

(٢) لاصحة لقصة المرأة التى ردت على عمر بن الخطاب لما دعا إلى عدم التغالى فى المهور ، بآية (وآتيتم احداهن قنطاراً) وذلك من ناحيتين :

احداهما حديثية : إن هذه القصة جاءت من روايات عديدة بعضها فيه انقطاع ، وبعضها فيه ضعف بسبب مجالد بن سعيد أو قيس بن الربيع وكلاهما ضعفه ابن حجر العسقلانى ، والأخرى فقهية ، فإن التغالى فى طلب المهور حرام لما يترتب عليه من المفاسد . والآية السابقة تفيد تطوع الزوج من نفسه فدفع لزوجته قنطاراً أو قناطير . أما أن تطلب هى ووليها فهذا هو المنهى عنه ، لذلك لايعقل أن تعترض هذه المرأة على الخليفة ، وأن يسكت عنها فضلا أن يقول : أخطأ عمر وأصابت امرأة !

ليفاً ، وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا ، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب (جلد) كبش(٣) .

---

(٣) أين هذه البساطة واليسر مما ذكره التاريخ من أعراس بنات الملوك والأمراء وزوجاتهم التى استنزفت مالية الدولة وعرضها للافلاس نذكر على سبيل المثال :

أولاً : زواج المأمون ببوران فقد فرش دار الخلافة باللآلئ الثمينة وطلب من النساء المدعوات أن يكرمن بوران بتناول مايردنه من هذه اللآلئ .

ولما حضر هذا العرس القادة والأمراء ألقى المأمون عليهم أوراقاً تحمل أسماء قرى ، أخذ كل منهم القرية التى كانت نصيبه ! والغريب أن بعض المؤلفين ألقى على هذا العرس الابليسي اسم « دعوة الاسلام » .

ثانياً : جاء فى رسالة « ثلاثة أعراس أودت بالخزانة إلى الافلاس » للدكتور محمد أحمد الحفنى ماخلاصته :

يقرر المؤرخون أنه كان من بين جهاز « قطر الندى » ابنة خمارويه وزوجة الخليفة المعتضد : دكة من أربع قطع من الذهب عليها قبة من ذهب مشبك ، فى كل عين من التشبيك قرط مغلق فيه حبة من الجواهر لاتقدر بقيمة ، وكان فى الجهاز معه هاون من الذهب يدق فيها العود والطيب ! وألف دكة ثمن الواحدة منها عشرة دنانير .

ولم يكتف خمارويه بهذا الاسراف فيما أعده من جهاز لابنته ، فقد غالى كذلك فى الانفاق على انتقالها من مصر إلى بغداد ، فأمر بأن يبنى لها على رأس كل مرحلة من مراحل هذا الطريق الطويل قصر تنزل فيه « قطر الندى » يعد كل منها بكل ماتحتاجه العروس فى سفرها من الراحة وأسباب الرفاهية .. وذكر ابن خلكان أن مقدار صداق - مهر - قطر الندى بلغ مليون درهم . وليس هذا بالشئ الكثير إذا قيس بما أنفقه خمارويه فى هذا العرس . ويكفى أن نذكر أن ابن الخصاص ، وهو الجواهرى الذى عهد إليه بإعداد الجهاز نال وحده جائزة قدرها أربعمئة ألف دينار . وشاعت فى تلك الأوقات الأغنية العامية :

الحـنه ، الحـنه يا « قـطر النـدى » .

شـباك حـبيبى يا عـينى جـلاب الهـوى

ثالثاً : زواج أولاد الخديوى اسماعيل :

وتجلت نزعة اسماعيل ومن حوله فى الشغف بالترف والاسراف والبذخ فى إعداد « جهاز » العرائس - بناته - الأربع فقد بلغ من الفخامة مبلغاً يعجز عند الوصف ، حيث جمع أثمن الحلى والجواهر المرصعة بالماس والياقوت ومجموعات كثيرة من الأوانى الذهبية والأطقم المصنوعة من الكهرمان الخالص مطوقة بالأحجار النادرة . وقد احتوى كل جهاز على سرير مكسو بطبقة سميكة من الذهب الخالص ، رصفت أعمدته بالياقوت والزمرد والفيروز ا .هـ باختصار .

وقد أعقب الأعراس التى ذكرنا نماذج بسيطة منها ، افلاس خزائن الدولة فى العالم -

مشروع زواج

كان أحد الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخدمه ، ويبيت عنده ليلبي أمره إذا نزلت بالرسول حاجة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
ألا تتزوج ؟

فقال يا رسول الله إنى فقير لاشئ لى ، وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانياً ، فأعاد الجواب ثم فكر الصحابى وقال : والله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى ، ومايقربنى إلى الله ولئن قال لى الثالثة لأفعلن ، فقال له الثالثة ألا تتزوج ؟

فقال يارسول الله زوجنى ، فقال اذهب إلى بنى فلان ، فقل إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمركم أن تزوجونى فتاتكم .. فقال يارسول الله لاشئ لى (أى لايملك شيئاً) فقال لأصحابه « أجمعوا لأخيكم وزن نواة[1] من ذهب » فجمعوا له وذهبوا به إلى القوم فزوجوه ، وجمع له أصحابه شاة للوليمة[2] . عن مسند أحمد مختصراً بسند صحيح .

- العربى وعجزها عن الاستعداد وتجهيز الجيوش مما أدى فى القديم إلى هجوم الصليبيين والتتار على العالم العربى ، وفى التاريخ الحديث إلى تدخل الانكليز فى مصر واستيلائهم عليها ..

(١) مبلغ ستين ليرة سورية تقريباً !

(٢) كنت نشرت منذ أكثر من خمسة عشر عاماً كلمة فى كتاب : « السبيل إلى أسرة أفضل » تحت عنوان : « امش إلى الزواج » اقتطف منها مايلى :
امش إلى الزواج ! هذه هى الحجارة الذهبية التى ينبغى أن تقوم مقلم امش إلى السينما ، أو امش إلى المقهى . كما ينبغى أن يكون الزواج بسهولتها وبسرعتها .

إن إحصاء تعدد الشبان والشابات الذين لم يدخلوا الحياة الزوجية بعد ينذرنا بشر مستطير ، ويهددنا بكارثة مخيفة اجتماعية وسياسية وخلقية ! فما تهاونت أمة بالزواج إلا وانتشرت الفاحشة بين أفرادها ، وتعرضت للغزو الخارجى بسبب الانحلال الخلقى وقلة النسل . لقد كان المارشال بيتان يخاطب قومه فى فرنسا عقب الغزو الألمانى لبلاده :
« زنوا خطاياكم ! فهى ثقيلة فى الميزان ، إنكم لم تريدوا أطفالاً ، وهجرتم حياة الأسرة ، ونبذتم الفضيلة ، وكل المثل الروحية ، وانطلقتم إلى الشهوات تطلبونها فى -

المهر والحرص على وفائه

الآيات :

• وآتوا النساء صدقاتهن(١) نحلة(٢) فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً ، فكلوه هنيئاً مريئاً (النساء : ٣) .

• وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ! أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً .
(النساء : ١٩ و ٢٠) .

- كل مكان ، فانظروا إلى مصير قادتكم الشهوات ... » .

إن مايؤسف له أن الرجل الذى تقدم لخطبة فتاة سارع أبوها بطلب المهر الفاحش ، والتجهيزات الضخمة . ويزعم أنه معذور فى طلبه فطلبه أمر طبيعى لابد منه .

أليست الزوجة بحاجة إلى حلى وملابس وأمتعة وغرفة طعام ، وغرفة استقبال وغرفة نوم وبراد وغسالة ومروحة كهربائية وسجاد . بل وسيارة ... فضلاً عن حفلة العقد ، وحفلة الزواج ..

لا أريد أن أناقش هذا الأب فى طلباته التى يعتبر كلها أو أكثرها كماليا وغير ضرورى ولكنى أذكره بمبلغ مهر ابنة النبى (ص) ووصف جهازها وأثاث بيتها .

عن ابن عباس قال :

لما تزوج على فاطمة رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله (ص) أعطها شيئاً ، قال على : ماعندى شئ ! قال : أين درعك الخطمية . قال هى عندى ، قال فاعطها إياه .

وعن على قال : جهز رسول الله فاطمة فى خميل ووسادة حشوها أذخر - أى قش من النبات - .

وعن جابر قال :

حضرنا عرس فاطمة ، فما رأينا عرساً أحسن منه ، حشونا الفراش - يعنى بالليف . وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا ، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب - أى جلد كبش - ..

وقد ذكرنا ذلك قبل قليل ونعيده هنا لتوكيده .

(١) المهر .

(٢) عطية عن طيب نفس .

الأحاديث :

★ أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به من الفروج (خ ،م) .

= وينبغى أن نعلم بهذه المناسبة أن المهر والصداق هو حق للمرأة تملكه كما تملك أى مال لها ، وليس لزوجها حق الولاية عليه كله ولا بعضه ... ولا حق للزوج أن يجبر زوجته أن تتجهز إليه بشئ من الصداق قل أو كثر ، فإن عليه السكن ، وعليه جهاز البيت ، وعليه كسوتها وسائر نفقتها (بخلاف ماهو شائع اليوم) إلا أن تطيب هى نفساً بشئ من ذلك ... ودليل ذلك من كتاب الله سبحانه . قوله تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) .

فما يفعله كثير من الأزواج من ارهاق أهل زوجته بشراء ألوان الثياب ، والأثاث والتحف والآنية ، هو من قبيل أكل أموال الناس بالباطل ، ومخالف كل المخالفة لما شرع الله تعالى لعباده . وذلك مالايقبل عليه ذو كرامة أو يرضاه لنفسه مؤمن بالله واليوم الآخر .

إن كثيراً من الشباب أو من الأزواج يطلب بنفسه أن يكون الجهاز كيت وكيت ، فيضطر أهل الزوجة إلى أن ينفقوا صداقها ومثله أو أمثاله معه . وقد يركبهم من ذلك دين كثير ، فمثل هذا الجهاز لابركة فيه ، لأن النفوس لم تطب به ، ولأن الزوج بتحكمه هذا إنما يتبع سبيل الاكراه والاجبار على ماليس له بحق .

وقد جرى العرف فى بلادنا على أن تجهز الزوجة بصداقها أو بما يزيد عليه ، ولاحرج فى ذلك مادامت قد طابت نفسها بذلك ، ولم يضطرها هو إليه . وفى هذه الحالة يجب تجنب السرف والمغالاة التى يقصد بها الزهو والمخيلة : « إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » الآية .

فأولئك الذين يلتزمون الأثاث المموه بالذهب ، ويجهدون أن يكون منه آنية الذهب والفضة ، إنما يسلكون طريق الشيطان ويتكلفون مايذهب بيسر المؤنة ، ويحلون لأنفسهم مانهاهم عنه النبى (ص) بقوله : « إن الذى يأكل أو يشرب فى انية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » .

فخير الجهاز ماالتزم فيه النلس يسر المؤنة (وقلة النفقات) واجتنبوا فيه الزهو والكبر ، فهو أرضى لله ورسوله ، وأحفظ للقلوب أن يدخلها سقم الاختيال (المرأة فى البيت والمجتمع بتصرف قليل) .

ويحسن أن نتكلم بعد الحديث عن مهر المرأة إلى عادة بعض الآباء فى بعض القرى أن يأخذوه لأنفسهم ، فهذا حرام ، الا أن تتبرع المرأة بشئ منه إلى أبيها أو غيره عن طيب نفس .

★ أيما رجل تزوج امرأة على ماقل من المهر ، أو كثر ، وليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها ، خدعها ، فمات ، ولم يؤد إليها حقها ، لقى الله يوم القيامة وهو زان (طب) وهو حديث صحيح .

الخطبة ودعاؤها

★ ينبغى أن يُخطب بين يدى العقد خطبة يبدؤها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله (ص) وأفضل الخطب .

خطبة الحاجة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون) . (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

ثم يذكر الخاطب حاجته كأن يقول :

جئتكم راغباً فتاتكم فلانة أو نحو ذلك[1] .

★ قال النبى (ص) كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجزماء (المقطوعة) (ت) وحسنه .

---

(١) قال الأصمعى : كانت رجالات من قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب إليه الايجاز .

ومن لطيف كلام الصحابى الجليل بلال الحبشى أنه خطب لأخيه امرأة من قريش ، -

وصايا الأبوين للزوجة

استحباب وصية الزوجة ..

قال أنس : كان أصحاب رسول الله (ص) إذا زنوا امرأة على زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه .

وصية الأب ابنته عند الزواج

أوصى عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب ابنته فقال :

إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق !

وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء .

وعليك بالكحل(١) فإنه أزين الزينة .

وأطيب الطيب الماء .

- فقال نحن مَن قد عرفتم ، كنا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا ضالين فهدانا الله ، وفقيرين فأغنانا الله ، وأنا أخطب لأخى خالد فلانة ، فإن تنكحوه فالحمد لله ، وان تردوه فالله أكبر .

فأقبل أهلها بعضهم على بعض فقالوا : هو بلال ، وليس مثله يُدفع . فزوجوا أخاه .

فلما انصرف بلال وأخوه ، قال خالد لبلال : يغفر الله لك ! ألا ذكرت سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ !

قال بلال : مـه ! صدقت فأنكحك الصدق .

أين هذا السلوك من سلوك أهل الخاطب اليوم الذين يحملون جراب الكذب !! والكذب حرام .

كان الحسن البصرى يقول فى خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه ، أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المتقطعة والأسباب المتفرقة ، وجعل ذلك فى سُنَّة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره ، وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيراً يرحمكم الله .

وأتى رجل عمر بن عبد العزيز (ر) يخطب أخته ، فتكلم بكلام موجز ، فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على خاتم الأنبياء ، أما بعد فإن الرغبة منك دعت الينا ، والرغبة منك أجابت منا ، وقد زوجناك على مافى كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريح باحسان .

(١) لما حمل الفرافصة بن الأحوص ابنته نائلة إلى أمير المؤمنين عثمان رضى -

وصيـة العـم لصهـره

لما خطب على (ر) إلى رسول الله فاطمة (ر) فقال : « هى لك على أن تحسن صحبتها » (ط) ، (ص) .

خطب عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان إلى عمه عتبة ابنته ، فأجلسه بجانبه ، وأخذ يمسح على رأسه ثم قال :

أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لاأستطيع له رداً ، ولاأجد من اسعافه بداً . قد زوجتكما وأنت أعز علىّ منها ، وهى ألصق بقلبى منك :

فأكرمها يعذب على لسانى ذكرك

ولاتهنهـا فيصغـر عنـدى قدرك

وقد قربتك مع قربك ، فلا تبعد قلبى من قلبك .

وصيـة الـزوج زوجـته

قال أبو الدرداء لامرأته :

- الله تعالى عنه وقد تزوجها نصحها أبوها بقوله :

أى بنيتى ! إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظى عنى خصلتين : تكحلى وتطيبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر (الأغانى لأبى فرج الأصفهانى) (الشن : القربة) .

خطب عمرو بن حجر ملك كندة ، أم اياس بنت عوف بن مسلم الشيبانى ولما جان زفافها إليه خلت بها أمها امامة بنت الحارث فأوصتها وصية تبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة ومايجب عليها لزوجها مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء فقالت :

أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، لتركت ذلك لك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل .

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال !

أى بنية ، انك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت إلى -

إذا رأيتنى غضبت فرضنى وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب :

خذى العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالقوى
ويأباك قلبى والقلوب تقلب !
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

- وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أَمَةً يكن لك عبداً وشيكاً ، واحفظى له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً ..

أما الأولى والثانية :
فالخضوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة :
فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح . ولايشم منك إلا أطيب ريح !

وأما الخامسة والسادسة :
فالتفقد لوقت منامه وطعامه . فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة !

فأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير !

وأما التاسعة والعاشرة :
فلا تعصين له أمراً ، ولاتفشين له سراً ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً !

وزوج رجل ابنته من ابن أخيه ، فلما أراد تحويلها قال لأمها : مُرى ابنتك ألا تنزل مغارة إلا ومعها ماء ، فإنه للأغلى جلاد وللأسفل نقاء . ولاتكثر مضاجعته ، فإنه إذا مل البدن ، مل القلب !! ولاتمنعه شهوته ، فإن الحظوة فى الموافقة ... -

الغـناء والضـرب بـالدف

الأحاديث :

★ قالت الربيع بنت معوذ :

جاء النبى (ص) يدخل حين بنى علىّ ، فجلس على فراشى مجلسك منى « الخطاب للراوى عنها » فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ، ويندبن مَن قتل من آبائى يوم بدر ، إذ قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم مافى غد .

فقال : دعى هذه ! وقولى الذى كنت تقولين « خ . هق . جم »

وفى رواية صحيحة : قال رسول الله (ص) « لايعلم مافى غد إلا الله[1] سبحانه !! » طـ صحيح .

- وقال أبو الأسود لابنته : إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وعليك بالزينة ، وأزين الزينة الكحل ، وعليك بالطيب ، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء ...

وقد نصحت إحدى الجميلات الغربيات بنات جنسها بالاكثار من غسل الوجه مرات كل يوم بالماء البارد !

فما أعظم حكمة الوضوء !

وأنكر على سبيل الدعابة والاعتبار وصية أم خبيثة لابنتها حيث قالت لها :

أقلعى زج رمحه ، فإن أقر فاقلعى أسنانه ، فإن أقر فاكسرى العظام بسيفه ، فإن أقر فاقطعى اللحم على ترسه ، فإن أقر فضعى الاكاف على ظهره ، فإنما هو حمار !

(١) قال تعالى يخاطب نبيه (ص) : (قل لاأعلم الغيب !!)

فأين كل هذا من قول الشاعر البوصيرى صاحب البردة يخاطب النبى (ص) :

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

ومن الأبيات المنحرفة أيضاً فى البردة يستغيث بها البوصيرى برسول الله (ص)-

★ عن عائشة (ر) أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار ، فقال نبى الله :

يا عائشة أما كان معكم لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو (خ) وغيره .

★ فصل مابين الحلال والحرام الصوت والدف[1] « ن ت هـ » وغيرهم (ص) .

- وهو القائل : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » وقال أيضاً يخاطب ابنته فاطمة : « يافاطمة ! اعملى ، فإنى لاأغنى عنك من الله شيئاً ! »

يأكرم الخلق مالى من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ما سامنى الدهر ضيماً واستجرت به ... إلا ونلت جواراً منه لم يضم
لو ناسبت قدرة آياته عظماً ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

أى أن معجزات النبى (ص) ومنها القرآن العظيم لاتناسب قدره - والعياذ بالله ! فإن اسمه يحيى الموتى !!

ومما يؤسف له أن قصيدة البردة على الرغم مما فيها من كثير من الانحراف الضلال ، حتى والشرك أيضاً كما رأيت ، فإنا نجد كثيراً من المشايخ يعلمونها طلابهم المغفلين ينشدونها فى مجالسهم ويتدارسونها أكثر مما يتدارسون كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) ويأمرونهم أيضاً بكتابتها فى الآنية - حسب البدعة المعروفة - وشرب مائها للشفاء ! وقد اضطررت لمرافقة جماعة من طلبة هؤلاء الشيوخ فى سيارة كبيرة إلى الحج ، فكانوا طوال طريقهم ينشدون البردة ذهاباً وإياباً كأنهم يعلنون - على الرغم من حجهم - أنهم على عهد الضلال محافظون ، وعلى عقيدتهم الباطلة ثابتون .

وقد روج المضللون - لنشر آفات البردة - أن ناظمها البوصيرى الذى يطاف حول قبره فى بلد الأزهر وياللحسرة - كان مصاباً بالفالج فرأى الرسول (ص) فى الرؤيا بعد نظمها ، فألقى بردته عليه ، فأصبح معافى ، وكل ذلك كذب وافتراء .

(١) لايجوز التوسع فى موضوع الغناء . فالجائز منه أيام العرس - كما هو فى الأحاديث - مما كان سليم المعنى ، خالياً من معانى الفجور وخالياً من المعازف ماعدا الدف فقط .. فإن هذه المعازف والأغانى الخلاعية تسبب مفاسد كثيرة وتوقظ الشهوات المحرمة ، فلينتبه الآباء والأمهات والأزواج إلى خطر سماع أمثال هذه الأغانى والمعازف .

ويروج بعضهم للموسيقى والمعازف بأنها ترقق الشعور وتنمى العاطفة ، وهذا ليس صحيحاً فهى مثيرة للشهوات والأهواء . ولو كانت تفعل ذلك لرققت شعور الموسيقيين -

★ سمع النبى (ص) ناساً يغنون فى عرس وهم يقولون :

وزوجـك فـى النـادى ... ويعـلم مافـى غـد

- وهذبت أخلاقهم . وأكثرهم ممن نعلم من انحرافهم وسوء سلوكهم !

ومما يؤسف له أن بعضهم يبيح هذه المعازف فى حفلات الأعراس قياساً على إباحة الدفوف . وهذا افتراء ، وقد كانت هذه المعازف أيام الرسول (ص) فنهى عنها فى مثل قوله : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر (أى الزنا) والحرير والمعازف » الحديث أخرجه البخارى تعليقاً ، ووصله أبو داود وغيره بسند صحيح وقال النبى أيضاً : « صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة : مزمار عند نغمة ، ورنة عند مصيبة » وسنده صحيح عن البزار .

قال الامام صديق حسن خان :

وأما السماع بدون معازف ففيه خلاف واسع بين السلف والخلف .

والذى يظهر من الرجوع إلى مقالاتهم ودلالاتهم ، أن السماع المجرد عن الزمر مباح ، ليس بمكروه ولاحرام . ولاأجمع أهل العلم على تحريمه ، كما زعم بعضهم .

ولكن المراد به ، سماع شعر رائق ، أو نثر فائق ، فيه ذكر الله ، أو ذكر رسوله ، أو كلمة حكمة ، أو مقالة نصيحة ، أو ترجمة حديث أو آية ، أو تشبيه نفيس ، أو استعارة لطيفة لم تبلغ إلى حد يكره فى الاسلام .

وأما الذى اشتمل على غير ذلك فالأولى والأحوط الاجتناب مما هنالك ، كما أوضحه صاحب « دليل الطالب على أرجح المطالب » و « هداية السائل إلى أدلة المسائل » ، فراجعهما .

وللعلامة الشوكانى - رحمه الله - رسالة اشتملت على أقوال أهل العلم فى مسألة السماع ، وعلى ما استدل به محللوه ومحرموه حقق فيها هذه المسألة بما لايحتاج بعده إلى كتاب آخر ، ورسالة أخرى وسماها « ابطال دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع » ، وقال فى آخرها السماع : لا شك - بعدما ذكرنا من اختلاف الأقوال والأدلة - أنه من الأمور المشتبهة ، والمؤمنون وقافون عند الشبهات ، كما ثبت ذلك فى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

ولاسيما إذا كان مشتملا على ذكر الخدود والقدود ، والادلال والجمال . والهجر والوصال ، والضم والرشف ، والتهتك والكشف ، ومعاقرة العقار ، وخلع العذار والوقار .

فإن سامع هذه الأنواع فى مجامع السماع ، لاينجو من بلية ، ولايسلم من محنة ، وإن بلغ من التصلب فى ذات الله إلى حد يقصر عنه الوصف .

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :
لايعلم مافى غد[1] إلا الله سبحانه (ط حا . هق) (ح) .

- وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول ، وأسير بهموم غرامه وهيامه مكبول ، ولاسيما إذا كان المغنى حسن الصورة والصوت ، كالمرأة الحسناء ، والغلام الجميل .

وماكان من الغناء الواقع فى زمن العرب - فى الغالب - إلا بالأشعار .

فيها ذكر الحرب ، وصفات الطعن والضرب ، ومدح صفات الشجاعة والكرم ، والتشبيب بذكر الديار ، ووصف أصناف النعم .

فاليحذر المتحفظ لدينه ، الراغب فى اسلامه عن ذلك ، فإن الشيطان له حبائل ينصب لكل إنسان منها ، مايليق به . وربما كان الغناء على الصفة التى وصفناها من أعظم خدائع اللعين الخبيث ، ولاسيما لمن كان فى الأزمان السيئة فإن نفسه تميل إلى المستلذات الدنيوية بالطبع .

وأيضاً السماع من أعظم الأسباب الجالبة للفقر ، المذهبة للأموال وإن كانت عظيمة القدر .

وقد قال بعض الحكماء : إن السماع من أسباب الموت .

فقيل : كيف ذلك ؟

فقال : كان الرجل يسمع فيطرب ، فينفق فيسرف ، فيفتقر فيغتم ، فيعتل فيموت . انتهى .

وقد رأينا من ذلك وسمعنا ، مالايسع فى هذا المقام .

وليس فى ذكرها وذكر أهلها بالأسماء والصفات كثير فائدة ، لأن المقصود هنا ، بيان النهى عن المعازف والغناءات ، بالتسجيل عليها ، بأنها سيئات .

فالشحيح بدينه والبخيل بإيمانه ، تكفيه الاشارات عن طول العبارات .

ولله در القائل :

ومن يك وجده وجداً صحيحاً ... فلم يحتج إلى قول المغنى
لـه من ذاته طرب قديم ... وسكر دائم من غير دن

(١) كنا ذكرنا فيما سبق مبلغ مخالفة البردة لهذا الحديث ولغيره من الأحاديث .

ومما جاء فى أبيات هذه القصيدة من مخالفات شرعية قول البوصيرى :

إن آت ذنبا فما عهدى بمنتقص ... من النبى ولا حبلى بمنصرم
فإن لى ذمة منه بتسميتى محمدا ... وهو أوفى الخلق بالذمم

يشير إلى حديث باطل « من سمى محمداً أعتق جسده من النار » . فما أرخص النجاة من النار فى عرف أمثال هذا المغفل .

وإنى أقول - والله شهيد على مانقول - : إن فى نفسى وجداً بألفاظ القرآن -

وعن عامر بن سعد قال : دخلت على قرظة بن كعب ، وأبى مسعود ، وذكر ثالثاً ، وجوار يضربن بالدف ويغنين . فقلت تقرون هذا وأنتم أصحاب محمد (ص) ؟ ! قالوا : إنه رخص لنا فى العرسات الحديث (حا . هق . ن . طى) .

- وكلمات الحديث ، وطرباً بالكلام الالهى والمبانى السنية ، لاأتمكن من بيانه ولاأقدر على كشفه لغيرى ، ليس بى وجد مثله ، ولاطرب فى شئ من هذه المنكرات ، أو المشتبهات .

إذا تلوت آية ، وخضت فى لطف مبانيها وحسن معانيها ، أسكر سكر الشارب بلا مبالغة .

وإذا وقفت على حديث ، واستلذذت بفصاحة عبارته وبلاغة إشارته ، أطرب طرب السامع ، ولم أجد قط ذاك الحال فى غيرهما من المقال ، وإن كان بليغاً فى نفسه ، فصيحاً فى نظمه ونثره .

يهز القلب هذا القرآن ، مالايهز مثله نظم جمان البيان من إنسان ، ويطرب الجنان هذا الحديث من سيد ولد عدنان ، مالا يطرب مثله كلام أحد من الأعيان .

فمن كان حالته هذه فأنى له أن يميل إلى ذاك القال والقيل ؟ !!

وإن مال ، فهو يعلم أنه عند هذه الطربات الربانية شئ ذاهب قليل .

فدع صاحب المزمار والدف والغنا
وما اختاره من طاعة الله مذهباً
ودعه يعيش فى غيه وضلاله إلى الجنة الحمراء يدعى مقرباً
سيعلم يوم العرض أى بضاعة أضاع وعند الوزن ماخف أو ربا
ويعلم ماقد كان فيه حياته إذا حصلت أعماله كلها هبا

فيا هذا إن كنت ممن لهم عبودية للحق ، وخلوص بالرب ، واستقامة بالشريعة الصادقة ، واتباع للسنة البيضاء ، واقتداء بالكتاب المنزل من السماء فكن عن هذه الأسكار الفانية والأشعار الزانية على طرف الثمام ، والزم التقوى والعمل الصالح مع صحيح الاسلام ، تدخل - إن شاء الله تعالى - دار السلام بالأمن والإيمان والسلامة والإكرام .

فحى على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل لنا نعود إلى أوطاننا ونسلم

اللهم يارب النفس الناطقة ، أهدها لما ترضى عنه ، وصنها عما تسخط عليه وتب علينا واغفر لنا فرطاتنا فى الزمان الأول إلى أن تجذبنا إليك من خوخة حسن الخاتمة ، فأنت أنت ، وأنا أنا (من كتاب الدين الخالص) (٤/٤٢٥ - ٤٢٨) .

وقد ذكر الامام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس ابليس » أن الخليفة سليمان بن عبد -

تزين لزوجتك ودعها تتزين لك(١)

الآيات :

- **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (البقرة : ٢٢٨) .**

الحديث :

« سئلت عائشة (ر) بأى شئ كان يبدأ النبى (ص) إذا دخل بيته ؟ ..

- الملك كان فى بادية له ، فسمر ليلة على ظهر سطح ، ثم تفرق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوء ، فجاءت به جارية له ، فبينما هى تصب عليه إذا استمدها بيده - أى طلب منها - واشار إليها ، فإذا هى ساهية مصغية بسمعها ، مائلة بجسدها كله إلى صوت غناءفى ناحية المعسكر ، فأمرها فتنحت واستمع هو للصوت ، فإذا هو صوت رجل يغنى ، فانصت له حتى فهم مايغنى به من الشعر .. فلما أصبح الصباح تحقق فى الأمر وعرف المغنى فى تلك الليلة فأحضره ، ولما تأكد من صوته قال : هدر الجمل ، فأسرعت الناقة إليه ، وهب التيس فحنت الشاة ، وهدل الحمام فتبخترت الحمامة ، وغنى الرجل ، فطربت المرأة ، ثم أمر بالمغنى فعاقبه ومنعه من الغناء (بتصرف وتلخيص) .

ويذكر صاحب كتاب « جوامع اللذة » أن أهل اللواط من قوم لوط كانوا يصطادون الغلام بالطنبور ، فإذا أعجبهم الأمر استمالوه بضرب الطنبور حتى يبلغوا منه مايريدون .

وقد رأيت بعينى شباباً من الفساق فى بعض البساتين ، يضربون « بالدربة » ضربات مثيرة ، فكانت الفتيات فى المنتزهات يلحقن بهم متأثرات بالعزف ، فيتوغلوا بهن بين الأشجار .. وعلمت أن كثيراً من المغنين يتلقون رسائل من النساء المتأثرات بأصواتهم ، طالبات اللقاء !! »

والغريب أن الغربيين الذين يقلدهم المسلمون فى موسيقاهم ، قد ملوا الغناء الجنسى الفاسق ، وحنوا إلى المعانى السامية والعواطف الراقية فقد نشرت بعض الصحف أن إذاعة الولايات المتحدة الأمريكية راجعت / ١٨٠٠ / أغنية شعبية لمعرفة أكثر هذه الأغنيات نجاحاً وأبعدها صدى .. وقد تبين أن الملل من الأغنيات الخليعة التى راجت رواجاً كبيراً ، جعلت هذه الأغنيات لاتأتى فى المقدمة ، بينما وقع الحنين إلى حياة الأسرة ، والأم ، والطفولة (الأشياء التى حرم منها الأمريكية) إلى تفضيل الأغانى التى تصور هذه الآمال المفقودة .

(١) ورد فى بعض الآثار : اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا ، وتزينوا وتنظفوا ، فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك ، فزنت نساؤهم !!

قالت : بالسواك[1] ! (م) .

قال ابن عباس :

إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين[2] لى ، ومأأحب أن استطف كل حقى الذى لى عليها ، فتستوجب حقها الذى لها علىّ[3] لأن الله تعالى قال : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) .

وقد دخل على الخليفة عمر زوج أشعث أغبر ، ومعه امرأته وهى تقول : لا أنا ولا هذا[4] ياأمير المؤمنين ، فعرف كراهية المرأة لزوجها ، فأرسل الزوج ليستحم ويأخذ من شعر رأسه ويقلم أظافره ، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته فاستغربته ونفرت منه ثم عرفته فقبلت به ورجعت عن دعواها فقال عمر : وهكذا فاصنعوا لهن ، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم .

---

(١) لعل النبى (ص) كان يفعل ذلك ليستقبل زوجاته بالتقبيل !

(٢) أجل عليها أن تتزين لك ولاتتزين للرجال الآخرين فى الشوارع والحفلات .

(٣) قال القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس ماملخصه .. فإنما يعمل الرجل اللائق ، ليكون عند امرأته فى زينة تسرها ، ويعفها عن غيره من الرجال ومما قاله : « وأما الطيب والسواك ، والخلال ، والرمى بالدرن (الوسخ) وفضول الشعر ، والتطهر ، وقلم الأظافر ، فهو بين موافق .

ثم قال : عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره وإن رأى الرجل من نفسه عجزاً عن اقامة حقها فى مضجعها أخذ الأدوية التى تزيد فى باهه وتقوى شهوته حتى يعفها .

(٤) أى خلصنى منه .

جاء فى كتاب « تحفة العروس » : « النساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته مااستطاع ! » .

إن الزينة أدعى لشهوة الرجل وأملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة ! وقال أبو الفرج فى كتاب النساء مامعناه :

إن المرأة تحظى عند زوجها بعد تمام خلقها وكمال حسنها بأن تكون -

★ إذا دخلت ليلا فلا تدخل(١) على أهلك

- مواظبة على الزينة والنظافة ، عاملة بما يزيد فى حسنها من أنواع الحلى واختلاف الملابس ووجوه التزين بما يوافق الرجل ويستحسنه منها فى ذلك ، ولتحذر كل الحذر أن يقع بصر الرجل على شئ يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة أو تغير مستنكر .

وإن الخطر فى تضييعه عائد عليها خشية أن يتبين لبعلها التقصير منها فتطمع نفسه إلى غيرها ... وتضاعف الزوجة من تزينها فى الأوقات التى ذكرها الله سبحانه فى القرآن ونهى الارقاء والأطفال من الدخول على الزوجين أثناءها إلا بإذن :

(ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) الآية .. ا هـ .

ومهما كان من شأن الزينة فيجب على المرأة أن لاتبالغ فيها ، ولا تجعلها أكبر همها وبلغ علمها ، وأعظم مشاغلها والا برهنت على خفتها وجهلها وسطحية تفكيرها . إن البساطة والاعتدال فيهما الجمال كل الجمال ، وفى الاغراء والاغواء الضرر كل الضرر ! وعلى كل حال ، فإن المرأة المسلمة بمنجاة من المبالغة فى الزينة والدهونات التى تأتينا من الغرب على الدوام ، لما فى التشبه بالأجنبيات من التحريم الشديد ! محافظة على شخصيتها وأصالتها .

(١) جاء فى « فيض القدير » ماملخصه : « انه لو قرب سفره بحيث تتوقع حليلته إتيانه ، فتتأهب ، وأنه لايكره .. بزوال العلة المقتضية للكراهة وهى عدم تأهب حليلته فيعافها » .

وللحديث غاية أخرى وهى عدم تطلب عثرات زوجته ...

ولايقول عاقل فضلا عن عالم : إن الإنسان ينبغى له التغافل عن أهل بيته واهماله النظر فى دواخل أحوالهم ليتمكنوا من فعل ماشاؤوا من ضروب الفساد ويستمر ذلك مستوراً عليهن ، واستكشافه لأحوالهم لاينافى الستر المطلوب ، فإنه إن رأى ريبة كتمها وفارق أهله أو أدب سراً وحسم طريق الفساد .

وفى هذا الحديث توجيه لطيف وهام للزوجة التى تعنى بهندامها ولا تظهر أمام زوجها إلا فى أجمل صورة وكأنها فى ليلة عرسها ، وكثيراً ماتغفل بعض الزوجات هذه القضية الهامة ، فتظهر لزوجها بملابس رثة مما يسبب اشمئزازه ونفوره منها .

حتى تستحد المغيبة[1] وتمتشط الشعثة[2] : الكيس[3] الكيس ؟ (م) بنحوه .

★ عشرة من الفطرة : قص الشارب[4] ، وإعفاء اللحية[5] ، والسواك[6] واستنشاق الماء ، وقص الأظافر[7] ....

---

(١) التى غاب عنها زوجها فتزيل الشعر المأمورة بإزالته .

(٢) الوسخة .

(٣) أى انتبه وكن فطناً واستعمل العقل والصبر حتى لاتقع فى محرم كالجماع فى الحيض يطول العزوبة بامتداد الفرية .

(٤) يشير هذا الحديث إلى وجوب قص الشارب بقصد المبالغة بإزالة مازاد على الشفة ، لااستئصاله وحلقه كما يفعل بعض من أعفوا لحاهم ، وذلك جهلاً منهم بمعنى الحديث . وقد كان لعمر بن الخطاب (ر) شاربان يفتلهما عند الغضب !

وقد سئل الامام مالك عمن يحفى شاربه ؟ قال : أرى أن يوجع ضربا (رواه البيهقى) (٣٥٣/١) .

(٥) إعفاء اللحية من وسائل جمال الرجل قبل أن تمسخ الفطرة فى العصور المتأخرة . ألا ترى أن الأسد أجمل من اللبوة والديك أجمل من الدجاجة ، والطير أجمل من الطيرة ، وكل ذلك لوجود الشعر فى وجوهها . واللحية من أقوى العوامل فى تنشيط الجنس تساعد على إفراز هرمونات الذكورة فى الدم ، وبعكسها حلقها فإنه يساعد على إفراز هرمونات الأنوثة بالدم بسبب التشبه بالنساء ! ومن المشهور قوة الشيوخ الجنسية (أى الملتحين) على غيرهم .

وقد ذكر الدكتور صبرى القبانى فى مجلته أن وجود اللحية يزيد فى إثارة المرأة عند العملية الجنسية .

فكم يخسر الرجل والمرأة من فقدان هذه اللحية وقد جاء فى الحديث النهى عن حلق اللحية ولعن من يتشبه بالنساء !!

(٦) لقد اهتم الرسول (ص) بتنظيف الأسنان بالسواك (العود المعروف أو غيره) محافظة على نظافة الأسنان وجمالها وفى الحديث الصحيح : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك » .

(٧) ومما يؤسف له أن بعض النساء أخذت تخالف الفطرة بإطالة أظافرها حتى باتت كالوحش المفترس ، وهذا مصير من يخالف فطرة الله ! وصبغ الاظافر بـ « المنيكور » محرم أيضا لما فيه من التشبه بالكافرات ولمخالفته للذوق والفطرة السليمة التى فطر الله تعالى الناس عليها ، وهو يمنع وصول الماء إلى البشرة فلا يصح الوضوء به !

والغريب أن المرأة التى تسمى نفسها حديثة وتقدمية تخالف بعملها فى إطالة الاظافر وتدميها الفطرة والذوق السليم بحيث تظهر كهرة تنشب أظافرها .

وغسل البراجم[1] ، ونتف الابط[2] ، وحلق العانة[3] ، وانتقاص الماء[4]

★ إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس فإن الله لايحب الفحش ولا التفحش[5] (د) وغيره بسند صحيح .

---

(١) البراجم مفاصل الأصابع .

(٢) نتف الابط خير من حلقه وهو سهل أثناء الحمام أو بعده والحلق قد يسبب الجروح وحدوث الخراج .

(٣) وترك العانة بدون حلق عادة أجنبية مستقبحة أصيبوا بها نتيجة جهلهم بفطرة الاسلام ، وهم لو شعروا بنعيم حلقها لسارعوا إلى التمسك بها ! وقد ذكر الأستاذ سليم الجندى - رحمه الله تعالى - فى كتابه : « تاريخ المعرة » قصة طريفة رهيبة فى هذا الموضوع نذكرها - على استحياء - للعبرة والفكاهة والتنذر (كما جاءت فى ص ١٥٥) .

عن اسامة بن منقذ فى كتابه (الاعتبار) القصة التالية التى تدل على حالة الفرنجة الذين اقتحموا المعرة وقوضوا عمرانها وحضارتها وذلك عام ٤٩٢ هـ .

قال أسامة : كان عندنا رجل حمامى يقال له : سالم من أهل المعرة فى حمام لوالدى قال : فتحت حماماً فى المعرة أتعيش فيه ، فدخل إليه فارس منهم (أى الفرنجة) وهم ينكرون على من يشد فى وسطه المئزر فى الحمام . فمد يده فجذب مئزرى من وسطى ورماه ، ورأنى وأنا قريب عهد بحلق عانتى ، فقال : سالم . فتقربت منه . فمد يده على عانتى ، وقال : سالم جيد وحق دينى أعمل لى كذا ، واستلقى على ظهره وله مثل لحيته فى ذلك الموضع ، فحلقته ، فمر يده عليه ، فاستوطأه فقال : سالم بحق دينك أعمل للداما - والداما بلسانهم « الست » - يعنى امرأته ، وقال لغلام له : قل للدامة تجئ ، فمضى الغلام وأحضرها ، وأدخلها فاستلقت على ظهرها وقال : أعمل كما عملت لى ، فحلقت ذلك الشعر ، وزوجها قاعد ينظرنى ، فشكرنى ، ووهبنى حق خدمتى .

وإنما أوردت هذه القصة لأجمع فيها بين النادرة وبين ماكان الفرنجة يكلفون به الناس من الأعمال التى تتقزز منها نفوسهم وتأباها عاداتهم وتقاليدهم ، وبين ماكانوا عليه من [illegible] .

(٤) وانتقاص الماء هو الاستنجاء .

(٥) قاله (ص) لجماعة من أصحابه قادمين من سفر ، موصياً إياهم بالنظافة . والاعتناء بحسن المظهر .

النهى عن نتف الحواجب والوجه ووصل الشعر

★ لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الواشمات[1] والمستوشمات[2] والنامصات[3] والمتنمصات[4] والمتفلجات[5] للحسن المغيرات خلق الله (خ . م) وغيرهما .

★ لعن الله الواصلة[6] والمستوصلة (خ . م) .

نهى النساء عن قص الشعور وكيها تقليداً للأجنبيات

الأحاديث :

★ لعن رسول الله (ص) المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال (خ . د . حم) .

★ من تشبه بقوم فهو منهم[7] (د . حم . طح .) (س) .

---

(١) جمع واشمة من الوشم ، وهو غرز الإبرة ونحوها فى الجلد حتى يسيل الدم ، ثم حشوه بالكحل أو النيل فيخضر .

(٢) جمع مستوشمة وهى التى تطلب الوشم .

(٣) جمع نامصة وهى التى تفعل النماص .

(٤) المتنمصات جمع متنمصة وهى التى تطلبه . والنماص إزالة شعر الوجه بالمنقاش وأضرار ذلك على الصحة وسرعة تجعيد الوجه مما لايخفى ، وكذلك يحرم على المرأة نتف غير الوجه أيضاً .

(٥) المتفلجات جمع متفلجة وهى التى تطلب الفلج ، وهو فرجة مابين الأسنان والتفلج أن يفرج مابين المتلاصقين بالمبرد ونحوه .

(٦) التى تزيد الشعر للمرأة بوصلة بغيره كما هى . ويالأسف موضة اليوم .

(٧) مما سبق ندرك مبلغ تحريم حلق المرأة شعرها إذا كانت تقلد فى ذلك الرجال والأجنبيات من النساء .

أما إذا كان قص الشعر بغير غاية التشبه ، فلا يحرم لما رواه مسلم (١ / ١٧٦) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : دخلت على عائشة أنا وأخوها من الرضاعة فسألها عن غسل النبى (ص) من الجنابة ... قالت : وكان أزواج النبى (ص) يأخذون من رؤوسهن حتى تكون كالوفرة (هى من الشعر ماكان إلى الأذنين ولا يجاوزهما) .

وأما كى الشعر وتصفيده فالتشبه فيهما بالأجنبيات واضح وأكيد لذلك كانا حراماً

النـهى عـن خـاتم الذهـب(١)

★ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه ، فطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار ، فيجعلها فى يده !!

فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذ خاتمك وانتفع به !

قال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (م . ن . طب) .

★ أبصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى يد رجل خاتماً من ذهب ، فجعل يقرعه بقضيب معه ، فلما غفل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ألقاه ،

قال : ما أرانا إلا قد أوجعناك وأغرمناك (ن . حم) وسنده صحيح .

★ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولاذهباً (حم) ح .

---

(١) إن الاسلام إذ ينهى عن لبس الخاتم للرجال كالنساء على السواء إذا كان باسم خاتم الخطبة ، ولو كان من فضة لأنه عادة غير إسلامية ، والشارع يحرص على محافظة المؤمن على شخصيته الاسلامية . وقد جاء فى الحديث الصحيح : « من تشبه بقوم فهو منهم ! »

جاء فى كتاب : « آداب الزفاف » لشيخنا محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الألبانى مايلى :

ويرجع ذلك - أى عادة التختم بخاتم الخطبة - إلى عادة قديمة عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس ابهام العروس اليسرى ويقول : باسم الآب ، ثم ينقله واضعاً له على رأس السبابة ويقول : وباسم الابن . ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول : وباسم روح القدس . وعندها يقول : آمين يضعه أخيراً فى البنصر حيث يستقر .

تحريم الذهب حتى على النساء أنفسهن !

الأحاديث :

★ من أحب أن يحلق حبيبته[1] بحلقة من نار فليحلقها حلقة من ذهب . ومن أحب أن يطوق حبيبته طوقاً من نار فليطوقها طوقاً من ذهب . ومن أحب أن يسور حبيبته سواراً من نار فليطوقه طوقاً (وفى رواية : فليسورها سواراً) من ذهب . ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها (العبوا بها) (د . حم .) ص .

عن ثوبان (ر) قال :

★ جاءت بنت هبيرة إلى النبى (ص) وفى يدها فتخ (من ذهب) (أى خواتيم كبار) فجعل النبى (ص) يضرب يدها (بعصية معه) يقول لها : أيسرك أن يجعل الله فى يدك خواتيم من نار ؟ !) فأتت فاطمة تشكو إليها .

---

(١) وقد يقول قائل : كيف نجمع بين هذه الأحاديث المحرمة للذهب على النساء وبين الحديث الذى أباحه لهن : (أحل الذهب والحرير للإناث من أمتى وحرم على ذكورها) (حم . ن . ت . وصححه) .

فالجواب : إن هذا الحديث مطلق قيدته الأحاديث السابقة فيحرم على النساء السوار والطوق والحلقة من الذهب ، وإنهن فى هذه المذكورات كالرجل فى التحريم . وإنما يباح لهن ماسوى ذلك من الذهب المقطع ، كالأزرار والأمشاط ونحو ذلك من زينة النساء .

وقد رد الأستاذ محمد ناصر الدين الألبانى فى كتاب « آداب الزفاف » على الشبهات التى تدور حول هذا الموضوع ، فليراجعها من شاء .

وكم أتمنى أن يقتنع النساء بهذه الأحاديث ، فيتركن استعمال السوار والطوق والحلق من الذهب ، فإنه أحفظ للثروة وللرصيد الذهبى وأبعد عن الإسراف وأسلم لشرفهن ، فإن فى ذهابهن إلى صانعى الحلى خطرا شديدا ، وهناك حوادث أخلاقية كثيرة وقعت من قبل كثير من هؤلاء الباعة فضلاً عن الغش والسرقة .

فليعتبر بكل ذلك الرجال والنساء على السواء !!

وينبغى أن نذكر بهذه المناسبة أن هذه الحلق من الحلى تخفى كثيراً من محاسن المرأة ، وهى قيود وأغلال فى يدها وعنقها . وفى الجواهر والحلى الاصطناعية الرخيصة غنى عن هذه الترهات والسخافات التقليدية .

قال ثوبان : فدخل النبى (ص) على فاطمة وأنا معه وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت : هذا أهدى لى أبو حسن (تعنى زوجها علياً (ر)) - وفى يدها السلسلة - فقال النبى (ص) : يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس : فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار (ثم عزمها - أى عنفها ولامها) شديداً فخرج ولم يقعد ، فعمدت فاطمة إلى السلسلة فباعتها فاشترت بها نسمة فاعتقتها . فبلغ ذلك النبى (ص) فقال : الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار (ن . طيا حا . طب وغيرهم) ص .

عن أم سلمة زوج النبى (ص) قالت : جعلت شعائر من ذهب فى رقبتها ، فدخل النبى (ص) فأعرض عنها . فقالت : ألا تنظر إلى زينتها ؟ فقال : عن زينتك أعرض[1] (قالت : فقطعتها ، فأقبل علىّ وجهه) قال : (أى راوى الحديث) زعموا أنه قال : ماضر إحداكن لو جعلت خرصاً من ورق ثم جعلته بزعفران (أى صفرته بزعفران) (جم . طب) ح .

إن الله جميل[2] يحب الجمال

---

(١) قال الامام ابن القيم : ومن أسمائه الحسنى الجميل ، ومن أحق بالجمال ممن خلق كل جمال فى الوجود ؟ ! فهو من آثار صنعه ، فله جمال الذات وجمال الأوصاف ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء . فأسماؤه كلها حسنى ، وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها جميلة .

فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله فى هذه الدار ، فإذا رآه المسلمون فى جنات عدن أنستهم رؤيته ماهم فيه من النعيم ، فلا يلتفتون حينئذ إلى شئ غيره ، ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سبحات وجهه سبحانه وتعالى ماانتهى إليه بصره من خلقه (م) روضة المحبين ٤١٤ - ٤١٥ .

جاء عن الحسن - كما جاء فى تفسير ابن كثير . ووجوه يومئذ (ناضرة) قال حسنة (إلى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى الخالق .

وقد كان من دعاء النبى (ص) : « أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك » (حم . ن . حب) فى صحيحه .

قال النبى (ص) : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون ماهو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجيرنا من النار ؟ » .

فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فوالله ماأعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولاأقر لأعينهم (م) وغيره .

الآيات :

• يزيد فى الخلق ما يشاء[1] .

• إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (م . هـ) .

• يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سؤاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير[2] (الأعراف : ٢٦) .

---

(١) قال ابن القيم : قالوا فى تفسيره هو الصوت الحسن والصورة الحسنة .

(٢) قال وهذا زينة الظاهر . وهذا زينة الباطن .

وبمناسبة الكلام على الجمال الظاهر والجمال الباطن قال الامام ابن القيم فى « روضة المحبين » :

أعلم أنه الجمال ينقسم إلى قسمين : ظاهر وباطن . فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل ، والجود والفقه والشجاعة ، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته كما جاء فى الحديث : « إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » رواه مسلم .

وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة ، وإن لم تكن ذات جمال ، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ماكتسبت روحه من تلك الصفات .

وأما الجمال الظاهر فرزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض وهى من زيادة الخلق التى قال الله تعالى فيها : (يزيد فى الخلق مايشاء) : قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة ..

وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده ، فالجمال الظاهر نعمة منه أيضاً على عبده يوجب شكراً ، فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالا على جماله ، وإن استعمل جماله فى معاصيه سبحانه ، قلبه له شيئاً ظاهراً فى الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحاً وشيناً ، وينفر عنه كل من رآه . فكل من لم يتق الله عز وجل فى حسنه وجماله انقلب قبحاً وشيناً .

يشينه بين الناس ، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره ، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره :

يا حسن الوجه توق الخنا	لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا	لا تجمعن بين قبحين

وكان النبى (ص) يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله ، قال لى رسول الله (ص) : « أنت امرؤ قد حسن الله خلقك ، فأحسن خلقك » -

الأحاديث :

★ قال النبى (ص) :

لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر !

قالوا يارسول الله ! هذا الرجل يحب أن تكون نعله حسنة ، وثوبه حسناً ، أفذلك من الكبر ؟ !

قال : لا ! إن الله جميل يحب الجمال ! الكبر(١) بطر الحق ، وغمط الناس (م . د . ت) .

الطـيب يـولـد المحـبة

الأحاديث :

★ حبب إلىَّ من دنياكم النساء والطيب(٢) ! وجعلت قرة عينى فى الصلاة (حم . ن . هق) .

= منتخب كنز العمال . وقد جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة (ر) « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى » .

خرج أبو حازم يرمى الجمار فى الحج ، ومعه قوم متعبدون ، وهو يكلمهم ويحدثهم ، فبينما هو يمشى معهم ، إذ نظر إلى فتاة ترمى الناس بطرفها يمنة ويسرة ، وقد شغلت الناس ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، فقال لها أبو حازم : ى ياهذه اتقى الله ، فإنك فى مشعر من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنت الناس ، فاضربى بخمارك على جيبك (أى صدرك) فإن الله عز وجل يقول : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . فأقبلت تضحك من كلامه وقالت : (إنى والله من اللاء لم يحججن بسبعين حسبه ولكن ليقتلن البرئ المغفلا ا . هـ باختصار عن كتاب « روضة المحبين » (٢٢٠ ـ ٢٢٥) .

قبح الله مثل هذه الجميلة قبيحة النفس :

جمـال الـوجـه مـن قبـح النفوس كـقنديل علـى قبـر المجـوسى !

(١) وقال : فبطر الحق جهده ، ودفعه بعد معرفته ، وغمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم .

ولابأس بهذا إذا كان لله ا . هـ .

أى بأن يحتقر أعداء الله باحتقار أهل المعاصى والخيانة !

وتمثلهم المبتدعةالذين يبتدعون ويزيدون فى دين الله ماليس منه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

(٢) قال بعضهم : تزين المرأة وتطيبها لزوجها من أقوى أسباب المحبة والألفة بينهما ، وعدم الكراهة والنفرة ، لأن العين ـ ومثلها الأنف رائد القلب ، فإذا استحسنت منظراً أوصلته إلى القلب ، فحصلت المحبة . وإذا نظرت منظراً بشعاً أو مالايعجبها من زى أو لباس تلقيه إلى القلب متحصل الكراهية والنفرة .

★ عن عائشة (ر) أن امرأة سألت النبى (ص) عن غسلها من الحيض ، فأمرها كيف تغتسل قال :

خذى فرصة من مسك فتطهرى بها .

قالت : كيف أتطهر بها .

قال : تطهرى بها !

قالت : كيف ؟

قال : سبحان الله تطهرى !

فاجذبتها إلىَّ - أى عائشة - فقلت : تتبعى أثر الدم[1] (خ . م)

★ كانت لرسول ا★ (ص) سكة يتطيب منها (د) ح .

★ كان ابن عمر يستجمر بالألوة[2] غير مطراة ، وبكافور يطرحه مع الألوة ، ويقول : هكذا كان يستجمر رسول الله (ص) (م . ن) ص .

★ طيب الرجال ماظهر ريحه ، وخفى لونه ، وطيب النساء : ماظهر لونه وخفى ريحه (ت . ن) ص .

★ أطيب الطيب المسك (د) ح (ص) .

★ من عرض عليه ريحان فلا يرده ، فإنه طيب الريح ، خفيف المحمل (م)

★ كان رسول الله (ص) لايرد الطيب (خ . ن) .

= ولهذا كان من وصايا نساء العرب لبعضهن : إياك أن تقع عين زوجك على شئ يستقبحه أو يشم منك مايستقبحه . (المناوى فى فيض القدير) .

وبمناسبة الكلام على الطيب ننصح بتعديد أنواعه وعدم الاقتصار على نوع واحد ، فيمل ويصبح عادة . كما ننصح باختيار مايرغب فيه الطرف الآخر من أنواع العطور وينبغى أن نحذر مايدخل الكحول فى تركيبه فإنه خمر وقد لعن حاملها فى الحديث النبوى الصحيح !!

(١) والمعنى أن المرأة بعد الطهر من الحيض ، تأخذ قليلا من مسك أو غيره من الروائح الطيبة - فتجعله فى قطنة أو صوفة أو خرقة أو نحوها فتجعله فى الفرج لتطيب المحل وتزيل الرائحة الكريهة .

ولايخفى مافى ذلك من جلب المحبة !

(٢) الألوة بفتح الهمزة وضمها : العود الذى يتبخر به و (مطراة) : العود المطرى هو المربى المطيب .

ملاطفة الزوجة عند الدخول بها

الأحاديث :

قالت أسماء بنت يزيد بن السكن :

قينت[1] عائشة لرسول الله (ص) ثم جئته ، فدعوته لجلوتها ، فجاء إلى جنبها فأتى بعُس « قدح » لبن ، فشرب ، ثم ناولها النبى (ص) فخفضت رأسها واستحيت[2] .

---

(١) أى أزينت للنظر إليها مجلوة مكشوفة والجلوة عادة عربية واسلامية ، وقد جلا النسوة عائشة للنبى (ص) . ودخول أم الزوجة أو الزوج معهما إلى مخدع العرس بعض الزمن ، من الفائدة بمكان كى تستأنس العروس وتزول وحشتها ببعض الأحاديث والمداعبات .

قال مؤلف « تحفة العروس » : وينبغى للمرأة التى تتولى جلاء العروس أن تعرض على الرجل جميع محاسنها وتظهر له ماخفى من خضابها أو زينتها ، فإن أغفلت شيئاً من ذلك نبهتها العروس له ، بيد أو رجل ، أو اشارة ! قالت رعيب الماشطة : جلوت ريا بنت الحجاب على زوجها قدامة بن وكيع ، وكانت جارية (سمينة) تنظر بعينى مهاة (غزالة) وتلتفت عن جيد غزالة فاتنة الحسن ، جامعة الخلق ، قالت : فإنى لأرفع يدها لأرى زوجها حسن خضابها ، إذ أخرجت رجلها من تحت غلالة فعلمت ماتريد ، فجعلت أريه مرة يدها ومرة رجلها فقال لى : رعيب ! ... إنى لأنظر إليها بكل نظرى فكلما ارتد طرفى إلى بدنها ، مال إلى رجلها فما قضيت وطرى من حلاوة نظرى ، قالت : فكان ذلك يعجب العروس !!

(٢) ولعل فى تصرف عائشة (ر) نوعاً من الدلال بالاضافة إلى الخجل والدلال ضرورى ! وهو يثير عاطفة الرجل ويزيد من قوتها ونشاطها ، على أن لايزيد هذا الدلال على حد الاعتدال وإلا سبب نفور الرجل وظنه ببغض زوجته له . وفى تصرف الرسول (ص) درس للشباب الذين يسيئوون التصرف فى الليلة الأولى من العرس ، فيتخطون حدود اللياقة والكياسة فيتعجلون تحقيق الاتصال الجنسى ، دون مقدمات لاستئناس الزوجة وإبعاد الخجل عنها بصورة تدريجية .

إن الليلة الأولى من حياة الزوجين ذات خطورة فى توليد الحب أو البغض .

قال مؤلف « تحفة العروس » : =

- « ويستحسن للمرأة ليلة بنائها أن لاتفرط فى التمنع على زوجها فيما يريد منها ولابأس بالامتناع الخفيف الذى يهيجه ويقوى حرصه !

فإن قوى امتناعها فربما يؤدى إلى انكسار رغبته وعجزه عن الافتضاض من ليلته تلك .. وربما تمادى انكسار رغبته أول ليلة إلى انكسارها زمناً طويلا ، فيجب على المرأة أن تحذر كل الحذر من هذا ! »

قال صاحب نثر الدر وأبو الفرج فى الأغانى : لما أهديت احدى العرائس إلى زوجها وكان خليفة وكان أخوها زوجها منه ووضع لها سريراً إلى جانب سريره ، فجلست عليه ، ثم قال لها : إما أن تقومى إلىَّ وإما أن أقوم إليك ! فقامت إليه وجلست معه فوضع قلنسوته وقال : لايردعك ماترين من صلعى ، فإن وراء ذلك ماتحبين ؟ فقالت : إنى من نسوة أحب أزواجهن اليهن الكهول الصلع ! فأمرها أن تخلع ثيابها قطعة قطعة بالتدريج ! ثم قال : حلى إزارك ، قالت : ذاك إليك ! (أى هذا وظيفتك بأن تحله بنفسك) قال : صدقت : فبنى بها فأعجبته .

وبمناسبة الكلام على تجريد الزوجة من ثيابها ، قالت إحدى العالمات النفسيات - وتدعى مارى ستوب - وهى تعبر عن رغبة بنات جنسها ! : « .. ويجب على الرجل أن يتجرد هو من ثيابه أيضاً بشكل لايدعو إلى العجب ، بل بشكل عادى وبصورة تدريجية ، لأنه لايجوز مطلقاً أن تكون الزوجة عارية ، وهو بكامل ثيابه ، حتى لاتفسر الزوجة هذا تفسيرات خاطئة ... » .

قد يقول قائل كيف يصح تعرية المرأة وقد جاء في الحديث : « إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته ، فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى » .

فأجيب أن هذا الحديث موضوع كما قال الامام ابن الجوزى فى كتابه « الموضوعات » .

والنظر الصحيح يدل على بطلان هذا الحديث ، فإن تحريم النظر بالنسبة للجماع من باب تحريم الوسائل ! فإذا أباح الله تعالى للزوج أن يجامع زوجته ، فهل يعقل أن يمنعه من النظر إلى فرجها ؟ !

اللهم لا ! ويؤيد هذا من النقل حديث عائشة قالت :

« كنت اغتسل أنا ورسول الله (ص) من إناء بينى وبينه واحد ، تختلف أيدينا فيه فيبادرنى حتى أقول : دع لى دع لى وهما جنبان » (خ . م) وغيرهما .

فإن الظاهر من هذا الحديث جواز النظر ، ويؤيده رواية ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته ، فقال : سألت عطاء ، فقال : سألت عائشة فذكرت هذا الحديث بمعناه . قال الحافظ فى الفتح (١ / ٢٩٠) .

« وهو نص فى جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه » وإذا تبين هذا فلا فرق حينئذ بين النظر عند الاغتسال أو الجماع ، فثبت بطلان الحديث -

قالت أسماء :

فانتهرتها وقلت لها : خذى : من يد النبى (ص) .

قالت : فأخذت فشربت شيئاً ثم قال لها : أعطى تربك[1] (صديقاتك) الحديث (حم) وغيره (ص) .

- ومثل هذا الحديث فى الوضع حديث : « لاتكثروا الكلام عند مجامعة النساء ، فإن منه يكون الخرس والفأفأة » فهو ضعيف جداً كما جاء فى كتاب الأحاديث الضعيفة والموضوعة (ح ١ ج ٢ ص ٩٨) .

ومثله فى الضعف حديث : « إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولايتجرد ! تجرد البعيرين » ضعفه البيهقى والنسائى وغيرهما وقالوا : « حديث منكر » ولله در من قال :

واحذر من الجماع فى الثياب فهو من الجهل بلا ارتياب !!

بل كل ماعليها - صاح - فانزعه وكن ملاعباً لها لا تفزع !

ومهما كان من شأن تعرية الزوجة ووضع كنوزها أمام الرجل فلتتحاش أن يرى منها زوجها مواضع القبح قدر استطاعتها !

جاء فى كتاب صيد الخاطر للامام ابن الجوزى : رأى كسرى يوماً كيف يسلخ الحيوان ويطبخ ، فتقلبت نفسه ونفى اللحم (كرهه) فذكر ذلك لوزيره ، فقال : أيها الملك ! الطبيخ على المائدة والمرأة فى الفراش .

ومعنى ذلك لاتفتش عن كل شئ !

(١) وهكذا تمت حفلة الزفاف وانتهت بدون تكلف وبكل بساطة :

غناء متزن ودف لاعلان النكاح وقدح كبير من اللبن ، وهو مايتسر ! فأين هذا مما يفعله اليوم الكثيرون فينفقون الأموال الضخمة وربما استقرضوها بالربا للرياء والفخر فيكبدون الرجل النفقات الباهظة التى تثقل كاهله سنين وسنين ، وقد تطوح بمستقبله ومستقبل أسرته أيضاً بسبب مطالبة صاحب الدين وحجزه على أمواله .

زد على ذلك مايرافق هذه الحفلات من محرمات كاختلاط الرجال والنساء وهن شبه عاريات ، وإحضار المغنيات الفاسقات ومعاقرة الخمور ، كل ذلك لارضاء الناس ولو بغضب الله تعالى !

وهكذا نقول قد جعلنا من أفراحنا - بسبب الاسراف - سبباً فى شقائنا ، كما جعلنا مآتمنا كذلك ولله در من قال :

ثلاثة تشقى بها الدار العرس ، والمأتم ، ثم الزار

والزار هو مايسمى فى بلادنا « بالنوبة » حيث يحضر للمريض جماعة من العاطلين والدجالين ، فيقرعون الطبول والدفوف بقصد شفائه ، بزعمهم ، ويأخذون الأموال الكثيرة أجراً لهم .

ما يقوله الزوج إذا دخلت عليه امرأته ليلة الزفاف

الأحاديث :

إذا تزوج أحدكم امرأة فليأخذ بناصيتها (أى بمقدم رأسها) ويسم الله عز وجل ، وليدع بالبركة وليقل :

اللهم إنى أسألك من خيرها وخير ما جبلتها[1] عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه (خ . د . هـ) وغيرهم .

صلاة الزوجين معاً قبل الدخول

الأحاديث :

★ قال عبد الله بن مسعود يوصى رجلاً تزوج شابة بكراً ، وقد

---

(١) خلقتها وطبعتها عليه .

وبمناسبة الكلام على وضع اليد على رأس الزوجة ، والدعاء لها أنكر الزوجين إلى أن الدعاء هو الوارد والمفيد فى مثل هذه الحالة وحالة المرض مما هو مذكور فى كتب الأذكار والأوراد (أمثال كتابى الاوراد المأثورة) .

والحذر الحذر من كتابة التمائم (الحجب) ووضعها ، فإنه لافائدة منها مطلقاً فهى حرام . ومنها ماهو شرك إذا كان فيها استعانة بالجن والعفاريت كما هو شأن كثير من التمائم وفى مثلها قال النبى (ص) : « التمائم شرك » . وقال أيضاً : « من علق تميمة فلا أتم الله له ! » .

فعلى الأسرة الاسلامية أن تكون واعية ، متفقهة بدينها ، بعيدة عن البدع والخرافات والشعوذات .

ومن هذه الشعوذات البحث عن الكنوز داخل البيوت الذى يفتريه كثير من الدجالين واللصوص والمتسترين بأزياء الصالحين . وقد قص على أحد الدمشقيين أن واحداً من هؤلاء الدجالين أخبره أن الجن أعلموه أن فى داره كنزاً وأوهمه أن قد خابر الجن أمامه وحفر فى ناحية وزعم أنه أخرج منها ليرات ذهبية أراه إياها . وكان أخرجها من جيبه خفية .

فاستطاع بهذه الحيلة أن يبتز منه (٥٠) ألف ليرة سورية بصورة تدريجية بمختلف الحيل والوصفات وأثمان كافور .. و ...

ثم فر منه بعد ماأفقره وصيره أجيراً عند لحام على الرغم من كبر سنه !!

وكم هناك أمثال هذه الضحية التى تسبب الشقاء للأسرة .

خشى أن تبغضه : إذا أتتك ، فأمرها أن تصلى وراءك ركعتين ، وقل : اللهم بارك[1] لى فى أهلى وبارك لهم فىَّ ، اللهم اجمع بيننا ماجمعت بخير ، وفرق بيننا إذا فرقت بخير (شب . ط) بسندين صحيحين .

محـادثـة النسـاء

الآيـة :

• ولاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض[2] وقلن قولا معروفاً[3] (الأحزاب : ٣٢) .

---

(١) لاشك أن فى هذه التوجيهات علاوة على الدعاء والصلاة وبالاضافة إلى دعاء الولد ، مايوحى إلى الزوج والزوجة إلى أن الغاية الأولى من الزواج الذى بدأ فى هذه الليلة ، ليست المتعة فقط ، بل أداء واجب دينى أيضاً وانجاب أطفال يملؤون البيت تغريداً وجمالا فى صغرهم ، ويخدمون دينهم وأمتهم فى كبرهم بفضل تربيتهما لهم !

وهكذا يرفع الاسلام من معنويات الزوجين فى هذه الليلة ويجعل مفهوم العمل الجنسى فوق اعتبار اللذة الحيوانية التى هى وسيلة ، لاغاية !

كل ذلك يدعو الزوجين إلى التخفيف من اسرافهما فى طلب اللذة وادخار قواهما لأداء مهمتهما المقدسة .

(٢) قال سيد قطب فى الظلال ماملخصه : ينهاهن الله سبحانه حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن يكون فى نبراتهن ذلك الخضوع واللين الذى يثير شهوات الرجال ، ويحرك غرائزهن ويطمع مرضى القلوب ويهيج رغائبهم !

... الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم أن فى صوت المرأة حين تخضع بالقول ، وتترفق فى اللفظ مايثير الطمع فى قلوب ، ويهيج الفتنة فى قلوب .

(٣) وقال أيضاً : نهاهن الله تعالى من قبل عن النبرة اللينة ، واللهجة الخاضعة ، وأمرهن فى هذه أن يكون حديثهن فى أمور معروفة غير منكرة . فإن موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث . فلا ينبغى أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ، ولاهذر ولاهزل ، ولادعابة ولا مزاح كى لايكون مدخلا إلى شئ آخر وراءه من قريب أو بعيد .

وإذا كان لحديث المرأة وصوتها هذا التأثير وهذا السحر ، فينبغى للزوجة أن توجه كل ذلك لزوجها حتى تسارع للوصول إلى شغاف قلبه .

عن عائشة قالت : لما أدخلت ابنة الجون على رسول الله (ص) ودنا منها قالت : أعوذ بالله منك(١) .

فقال عذت بعظيم . إلحقى بأهلك (خ) .

وقد تبارى الشعراء فى وصف روعة وفتنة حديث المرأة ، فنذكربعض أقوالهم لنوقظ فى الزوجة ماعندها من فتنة لتفيد منها فى حياتها الزوجية وحل معضلاتها بأقرب الطرق ...

قال بشار :

وحديث كأنه قطع الروض ... وفيه الصفراء والبيضاء

وقال القطامى :

وهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذى القلة الصادى

وقال غيره :

وقد تكون بها سلمى تحدثنى ... تساقط الحلى حاجاتى وأسرارى

شبه كلامها بعقد انقطع فتساقط لؤلؤه .

وقال آخر :

حديث لو أن اللحم يصلى بحره ... غريضاً أتى أصحابه وهو منضج

والغريض الطرى أى النيئ .

وقال غيره :

كان حديثها سكر الشراب

وقال آخر :

وكأن تحت لسانها ... هاروت ينفث فيه سحراً

وكأن رجع حديثها ... قطع الرياض كسين زهراً

(١) ليس للاستعاذة موضع هنا ، وقد جنى على هذه المرأة منطقها . والعامة تقول : المناطق سعادة ! وقد كان يجدر بها بدلاً من الاستعاذة ، أن تنهل بالرسول وتسهل بوجه باش باسم وتتجاوب معه فى عواطفه !

وإلى القارئ والقارئة بعض نوادر وأخبار النساء اللائى أفادهن ذكاؤهن وحسن جوابهن :

حكى أنه كان لهرون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر ، فنثر يوماً دنانير بين الجوارى ، فصار الجوارى يلتقطن الدنانير ، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد .

فقيل لها ألا تلتقطين الدنانير ؟ !

فقالت : إن مطلوبهن الدنانير ومطلوبى صاحب الدنانير ! ..

فأعجبته فقربها وأثنى عليها خيراً ، فقام حسن كلامها مقام الجمال وجاء فى « نوادر الأذكياء » : =

وغادرها من لحظته ، وأمر أن تلحق بأهلها[1] ـ وفى رواية لقد عنت بعظيم ـ الحقى بأهلك (خ) .

ـ عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج ، فخرجت إليه جاريته الشاعرة ـ وكانت تحبه كثيراً ـ فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد ابن عبد الله :

دمعة كاللؤلؤ الرطب ... على الخد الأسيل
هطلت فى ساعة البين ... من الطرف الكحيل

ثم قال أجيزى فقالت :

حين هم القمر الباهر ... عنا بالأفول
إنما يفتضح العشاق ... فى وقت الرحيل

وقال المفضل دخلت على الرشيد ، وبين يديه طبق ورد ، وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت له . فقال : يامفضل قل فى هذا الورد شيئاً ، فأنشأ يقول :

كأنه خد مرموق يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية :

كأنه لون خدى حين يدفعنى ... كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال الرشيد يامفضل قم فأخرج ، فإن هذه الجارية قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور دونى .

وقال الأصمعى كنت عند أمير المؤمنين الرشيد ، إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع ، فتأملها الرشيد ثم قال : خذ جاريتك ، فلولا كلف فى وجهها وخنس فى أنفها لاشتريتها . فانطلق بها . فلما بلغت الستر قالت :

ياأمير المؤمنين اردنى إليك أنشدك بيتين حضرانى .

فردها فأنشأت تقول :

ما سلم الظبى على حسنه ... كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبى فيه خنس بين ... والبدر فيه كلف يعرف

فأعجبته فاشتراها وقرب منزلها وكانت أحظى جواريه عنده .

ولما عرضت الحيزران على المهدى ، قال لها والله ياجارية إنك لعلى غاية المتمنى ، لكنك حمشة الساقين .

فقالت :

ياأمير المؤمنين ! إنك أحوج ماتكون إلىّ ، لاتراهما !

فقال :

اشتروها !

فحظيت عنده فأولدها موسى وهرون .

وحكى أبو بكر الصولى أن المهدى اشترى جارية ، فاشتد شغفه

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ٢٩٧ الطبرى ٣ / ١٢٣ .

- بها ، وكانت به إشغف . وكانت تتجافاه كثيراً فدس إليها من عرف مافى نفسها ، فقالت :

أخاف أن يملنى ويدعنى فأموت ! فأنا أمنع نفسى بعض لذتها منه لأعيش .

فأعجب المهدى جوابها وأنشد :

ظـفرت بـالقـلب منـى غـادة مـثل الهـلال
كـلما صـح لهـا ودى جـاءت بـاعتـلال
لاتحـب الهـجر مـنى والـتنائى عـن وصـالى
بـل لمـا منهـا عـلى حـبى لهـا خـوف المـلال

قال على بن الجهم :

اشتريت جارية فقلت لها :

ماأحسبك إلا بكراً ؟ !

فقالت : كثرت الفتوح فى زمان الواثق وقلت لها ليلة :

كم بيننا وبين الصبح ؟

قالت : عناق مشتاق .

ونظرت إلى الشمس كاسفة فقالت :

احتشمت محاسنى فانتقبت .

وقلت لها ليلة :

نجعل مجلسنا الليلة فى القمر .

فقالت :

ماأولعك بالجمع بين الضرائر .

وكانت تكره الحلى وتقول :

إن الحلى تستر المحاسن كما تغطى القبائح .

ماأعظم ذوق هذه الجارية ! وماأجدر نساءنا بالزهد فى الحلى لما سبق من سترهاللمحاسنوماتكبده للرجال من النفقات وماتسببه من مشكلات ومن لم يصدق فليسأل عن حوادث وجرائم كثير من صانعى الحلى فى أسواق الصاغة !

يحكى أنه كان لرجل جارية خاصمها لبعض الأسباب وأعرض عنها أمام جماعة من النساء من أقاربه فأنشدت تقول :

وقـالوا لهـا هـذا حبيبك معـرض فقالت إلا اعـراضـه أيسـر الخطـب
فمـا هـى إلا نـظرة وتبـسم فتصـطك رجـلاه ويسقط للحب !!

فطرب لقولها وسارع لمصالحتها !

وضع الخليفة المعتضد رأسه فى حجر بعض جواريه ، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت ، فلما انتبه قال : لم فعلت ذاك وأكبره فقالت: كذا عُلمنا أن لايقعد قاعد بحضرة من ينام ، ولاينام بحضرة قاعد ! فاستحسن المعتضد ذلك منها واستعقلها .

مايقول الزوج عند الجماع

الأحاديث :

ينبغى أن يقول حين يأتى أهله :

★ بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا[1] (خ)

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

★ فإن قضى الله بينهما ولداً ، لم يضره الشيطان أبداً (خ) وغيره .

تحريم نشر أسرار الاستمتاع

الآيات :

• فالصالحات قانتات ، حافظات للغيب بما حفظ[2] الله (النساء : ٣٤) .

الأحاديث :

★ عن أسماء بنت يزيد ، أنها كانت عند رسول الله (ص) والرجال والنساء قعود ، فقال : لعل رجلا يقول مايفعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأرم[3] القوم ، فقلت : أى والله يارسول الله .

---

(١) ماأروع هذا التوجيه النبوى الذى يدعو إلى البداءة بذكر الله حين العملية الجنسية للاعلان عن هدفها السامى وطهارتها بخلاف نظرية بعض الأديان الأخرى التى تعتبر هذه العملية قذارة ولوثة مما هو يصادم مع الفطرة السليمة .

(٢) أى حافظات لما يجرى بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ويجمل ستره كما قاله أحد المفسرين .

(٣) أى سكتوا ولم يجيبوا .

إنهن ليفعلن ، وأنهم ليفعلونه[1] قال :
فلا تفعلوا إنما ذلك الشيطان لقى شيطانة فى طريق فغشيها ، والناس ينظرون[2] (حم) وله شواهد يقول بها إلى درجة الحسن .

مايفعل الزوج صبيحة عرسه

ينبغى للزوج صبيحة عرسه أن يسلم على أقربائه الذين فى داره ويسلموا عليه ويدعو لهم ، وأن يقابلوه بالمثل .

★ أولم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ بنى بزينب فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلم عليهن ودعا لهن وسلمن عليه ودعون له ، فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه (ن) (ص) .

---

(١) ومن عادة بعض الرجال أن يصف لأصحابه حتى جمال امرأته مما يؤدى ببعضهم إلى عشقها والافتتان بها ونصب شباك الحيل للوصول إليها ، وقد وقعت حوادث مؤسفة كثيرة نتيجة ذلك ، فالحذر الحذر !

(٢) جاء فى كتاب المدخل للامام أبى عبد الله محمد الشهير بابن الحـاج بعنوان : « آداب الرجل فى الاجتماع بأهله » .

فإن كانت له حاجة إلى أهله ، فالسنة الماضية فى ذلك أنه لايكون معه أحد فى البيت - أى الغرفة - غير زوجته ، (وذكر عن) عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما إذا كانت له حاجة إلى أهله أخرج الرضيع من البيت . (وهو) مخير فى فعل ذلك أول الليل أو آخره لكن أول الليل أولى ، لأن وقت الغسل يبقى زمنه متسعاً بخلاف آخر الليل ، فإنه قد يضيق عليه ، وقد يؤول إلى تفويت الصبح فى جماعة أو إلى اخراج الصلاة عن وقتها المختار .

(ووجه آخر) وهو أن آخر الليل إذا فعل ذلك فيه عقيب نوم قد يتعلق بالفم أو الأنف شئ من بخار المعدة ، مما يغير رائحة الفم أو الأنف ، فإذا شمهما أحدهما كان ذلك سبباً لكراهة أحدهما فى صاحبه . ومراد الشارع دوام الألفة والمحبة ، وذلك ينافيها .

(ألا ترى) إلى نهيه (ص) عن أن يأتى الرجل أهله طروقاً ليلا لئلا يدخل عليهن قبل أن يتهيأن للقائه ، فنهى (ص) عن ذلك لكى تمتشط الشعثة وتدهن وتتطيب وتتأهب ، فيكون ذلك أدعى إلى بقاء الألفة والمودة .

(ألا ترى) إلى فعله (ع) انه كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ، وذلك لفوائد : (أحدها) أن يبدأ بزيارة بيت ربه وبالخضوع له فيه بالركوع والسجود (ومنها) أن يفضل ماهو منسوب إلى ربه ، لينبه أمته (ص) لتقديم ماهو لله على -

كـيف يـأتى الـزوج أهـله(٢)

الآيات :

• أحل لكم ليلة الصيام الـرفث(١) إلـى نسائكـم . هن

- مالأنفسهم فيه حظ ما (ومنها) أن أصحابه ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته والسلام عليه حين قدومه ، فإذا فرغوا ودخل بيته لم يكن ثم من يحوجه إلى الخروج فى الغالب .

(ومنها) ماتقدم ذكره من أن أهله يأخذون الأهبة للقائه ، (ومنها) أن لقاء الأحبة بغتة قد يؤول إلى ذهاب النفوس عند اللقاء لقوة مايتولى على النفس إذ ذاك من الفرح والسرور (وقد) حكى عن كثير من الناس أنهم ماتوا بسبب ذلك ، فاجأهم السرور ، فماتوا من شدة الفرح ، وقوم فاجأتهم المصائب فماتوا من شدة الهم والغم .

(وينبغى) للزوج إذا عزم على الاجتماع بأهله أن يتحرز مما يفعله بعض العوام ، وهو منهى عنه ، وهو أن يأتى زوجته ، وهى على غفلة ، بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة وما شاكل ذلك ، حتى إذا رأى أنها قد انبعثت لما هو يريد منها وانشرحت لذلك ، وأقبلت عليه ، فحينئذ يأتيها .

(وحكمة الشرع) فى ذلك بينة ، وذلك أن المرأة تحب من الرجل مايحب منها ، فإذا أتاها على غفلة قد يقضى هو حاجته ، وتبقى هى ، فقد يشوش عليها ذلك ، وقد لاينصان دينها ! فإذا فعل ماذكر تيسر عليها الأمر وانصان دينها .

(وينبغى) إذا قضى وطره أن لايعجل بالقيام ، لأن ذلك مما يشوش عليها ، بل يبقى هنيهة حتى يعلم أنها قد انقضت حاجتها ، والمقصود الاحسان اليهن ، وهذا موضع لايمكن الاحسان إليها من غيره ، فليجتهد فى ذلك جهده والله المسؤول فى التجاوز عما يعجز عنه المرء .

(وينبغى) له أن ينوى عند الجماع رجاء أن يكون بينهما ولد يكثر به الاسلام ويكون من العلماء الصالحين .

(ثم) ان بدا له أن يعود إلى الاجتماع بأهله ، فإن كان بعد الغسل أو الوضوء فيفعل أولا ، وإن كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل أن يعود .

قال القاضى عياض رحمه الله ... لأن غسل الذكر يقوى العضو وينشطه .. (ص ٢ / ٣٣ ـ ٣٥ باختصار) .

(١) قال البيضاوى فى تفسيره : « والرفث كناية عن الجماع ، لأنه لايكاد يخلو من الرفث ! وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه ..» . وقيل الرفث يكون فى الفرج بالجماع ، وفى العين بالغمز للجماع ، وفى اللسان للمواعدة به (المصباح المنير) .

لباس[1] لكم وأنتم لباس لهن (البقرة : ١٨٧) .
• نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم[2] (البقرة : ٢٢٣)

الأحاديث :

عن جابر (ر) قال :
★ كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها كان الولد أحول ! فنزلت :
(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) .
فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فى تفسيرها مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك فى الفرج (خ . م) وغيرهما .

---

(١) (كناية) عن الالتصاق والمخالطة . قال ابن عباس فى تفسيره يعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن . وقال غيره أن الزوجين بمنزلة اللباس لافضاء كل واحد ببشرته إلى بشرة صاحبه ، فكنى عن اجتماعهما متجردين باللباس .

قال الزجاج : والعرب تسمى المرأة : لباساً وإزارا ، قال النابغة الجندى :
إذا ماالضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباساً

وقد قيل أن لباس الرجل مايستره ، ولباس المرأة مايسترها . وعلى هذا المعنى رأى بعض الفقهاء أن الوضعية الصحيحة هى افتراش المرأة !

وليس معنى ذلك التشبث بهذه الوضعية ، فقد ذكر القرآن الكريم وضعيات أخرى ! وعلى الزوجين أن يصارح كل منهما الآخر عن الوضعية التى تروق له ، والتجديد فى الحركات والوضعيات له طرافته .

وقد قال أحد الأطباء : « أخبرتنى إحدى الزوجات أنها تكاد تنسحق تحت ثقل زوجها ، بل تكاد أحياناً تختنق !

ولاتبرأ من هذا الكابوس المزعج إلا بعد ساعات من كل جماع ! ذلك لأن زوجها يأبى أن يتخذ وضعاً آخر غير هذا الوضع الذى يعتقد أنه الوضع الطبيعى الجائز شرعاً !
ومما زاد الطين بلة أنه كان يجهل أنه يجب عليه أن يلقى ثقله على مرفقيه ، لاعلى جسم زوجته !! » .
وفى هذه الحال من سمن الرجل ينبغى أن تفترشه المرأة لا العكس !

(٢) أى كيف شئتم مقبلة ومدبرة من مكان الولد .

سألت امرأة أم سلمة عن الرجل يأتى امرأته مجبية[1] ، فسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم) صماماً واحداً صلى الله عليه وآله وسلم (ص) .

قال ابن عباس :

كان هذا الحى من الأنصار ، وهم أهل وثن مع هذا الحى من اليهود ، وهم أهل كتاب ، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم فى العلم ، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم . كان من أمر أهل الكتاب أن لايأتوا النساء إلا على حرف[2] وذلك أستر ماتكون المرأة ، فكان هذا الحى من قريش يشرحون[3] النساء شرحاً .. ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات .

فلما قدم المهاجرون المدينة ، تزوج رجل منهم إمرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه . وقالت إنما كنا نؤتى على حرف ، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبنى ! حتى برى أمرهما[4] فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد (د . والحاكم وصححه ووافقه الذهبى وهو كما قال) .

---

(١) قال المازرى يعنى على وجهها وقال عياض (ر) المتجبية تكون على وجهين : أحدهما أن تضع يديها على ركبتيها ، وهى قائمة ، منحنية على هيئة الركوع ، والآخر تنكب على وجهها باركة .

(٢) أى على جنب : نهاية .

(٣) قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه فقه اللغة : وتسمى المرأة وهى مستلقية على ظهرها : الشرح ، وهو معنى قول ابن عباس فى الحديث المتقدم : « وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء » وذكر الأطباء أن هذه الصورة هى الف صور النكاح وأقلها ضرراً .

قال عبد الملك بن حبيب : كان عمر بن الخطاب ينهى النساء أن ينمن على هذه الصورة يعنى فى غير وقت النكاح : وكان يقول : لايزال الشيطان يطمع فى ادراكها ماكانت مستلقية ، يريد أن الشيطان يسول لها إذا ذاك ، ذكر الرجل ، لأنها صورة اضطجاعها له !

(٤) أى عظم وتفاقم .